منهج أهل السنة والجماعة

في قضية التغيير

بجانبيه التربوي والدعوي

أ.د. السيد محمد نوح

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

منهج
أهل السنة والجماعة

في قضية التغيير
بجانبيه التربوي والدعوي

تأليف
أ. د. السيد محمد نوح

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

نوح ، السيد محمد .
منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبه الشروي والدعوي / تأليف السيد محمد نوح . - ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١١م .
١٢٠ ص ؛ ٢٠ سم .
تدمك ٦ ١١ ٥٠٥٩ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الإسلام - دعوة.
٢ - الإسلام - دعوات سلفية.
أ - العنوان .
٢١٣

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للمرات ٥ أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م في عشر الجائزة تتويجًا للجد الثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المنقطع مع شارع نور الدين بهجت - الزراعي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٠٠٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٠٠٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٠٠٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هـــاتـــف : ٥٩٢٢٢٠٥ فـاكـس : ٥٩٢١٦٠٤ (٠٠٢٠٣ +)
بريدًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريـــد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة ٥

الفصل الأول: حول ماهية ومبادئ أهل السنة والجماعة .. ١٥

الفصل الثاني: حول ماهية الدعوة إلى اللّـه والتربية

على الإسلام وعلاقة كل منهما بالآخر ٢٣

أولًا: ماهية الدعوة إلى اللّـه: لغة - شرعًا ٢٣

ثانيًا: ماهية التربية على الإسلام: لغة - شرعًا ٢٦

ثالثًا: علاقة كل من الدعوة إلى اللّـه والتربية على

الإسلام بالآخر ٢٨

الفصل الثالث: الحاجة إلى الدعوة والتربية في نظر

أهل السنة والجماعة ٢٩

الفصل الرابع: أهداف أهل السنة والجماعة من

الدعوة إلى اللّـه والتربية على الإسلام ٤١

الفصل الخامس: حكم الدعوة إلى اللّـه، والتربية على

الإسلام من وجهة نظر أهل السنة والجماعة ٤٧

الفصل السادس: قواعد ومنطلقات الدعوة إلى اللّـه والتربية

على الإسلام من وجهة نظر أهل السنة والجماعة ٦١

١ - الحياة كلها دعوة إلى اللّه وتربية على الإسلام ٦١
٢ - رعاية الأولويات والمهمات ٦٣
٣ - المرحلية والتدرج ٧١
٤ - الرفق في الدعوة والتربية ٧٢
٥ - البدء بتصحيح المفاهيم وتعميق الوعي بالواقع ٧٧
٦ - الشمول والتكامل في الفهم والسلوك مع التوازن ٨١
٧ - عدم الخوض فيما لا ترجى من ورائه فائدة ٨٧
٨ - الجمع بين الأصالة والمعاصرة ٩٣
٩ - رضوان اللّه هو الغاية والهدف ٩٧
١٠ - الإلمام بالسنن الاجتماعية والإفادة منها في الدعوة والتربية ٩٩
١١ - الصبر والتحمل مع التأني والتروي وعدم الاستعجال ١٠٢
١٢ - التوازن بين الدعوة والتربية ١٠٥
خاتمة ١٠٧
فهرس المراجع ١١١
السيرة الذاتية للمؤلف ١١٥

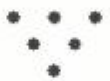

مُقَدِّمَة

الحمد للَّه، والصلاة والسلام على سيدنا رسول اللَّه محمد ﷺ وعلى آله، وأصحابه، والسالكين سبيله، والداعين بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن من ينعم النظر في واقعنا - نحن المسلمين - اليوم، **يجد أننا نحوز كثيرًا من عناصر ومقومات التقدم والنهوض والرقي والإمامة والقيادة:**

* **حسبنا أن لدينا وفرة في العدد البشري؛** إذ عدد المسلمين على مستوى العالم كله - كما دلت الإحصاءات القريبة - يزيد على ألف مليون نسمة، وعدد سكان العالم كله يصل إلى أكثر من ستة آلاف مليون نسمة، وهذا يعني أن بين كل ستة من البشر يعيش مسلم يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ، هذا فضلًا عن النمو البشري بين المسلمين الذي يتزايد باستمرار؛ إذ بعملية إحصائية بسيطة عن الزيادة السكانية في مصر وحدها، ظهر أن هذا البلد - كما يقول باول شمتز - سيصبح في مدى (٩٦٨) سنة - أي أقل من ألف عام بقليل - أمة تعدادها (٩٧٣) مليارًا من البشر،

أي أنها سوف تنمو بشريًّا إلى درجة لا تمكنها من استعمار الكرة الأرضية فحسب، بل من استعمار أعداد من الكواكب السيارة الأخرى[١].

* **وحسبنا أننا نقطن منطقة الشرق الإسلامي**، وهي منطقة ذات موقع جغرافي ممتاز، نتحكم في طرق المواصلات العالمية: البحرية والبرية والجوية، ونتحكم كذلك في الأسعار عن طريق رسوم المرور والجمارك.

* **وحسبنا أن لدينا من الثروات والمواد الخام اللازمة للصناعة والإنتاج ما نستطيع به بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية إن لم تَفُقْها**؛ إذ لدينا النفط (البترول) والحديد والمنجنيز، والذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص، والقطن طويل التيلة، والفحم، والكبريت، وغير ذلك من المواد الخام، وهي جميعها مما تعتمد عليه الصناعة والإنتاج في الكتلتين الشرقية والغربية.

* **وحسبنا أن لدينا منهاجًا شاملًا للحياتين جميعًا الدنيا والآخرة، ومعصومًا من أي تحريف أو تبديل**، إنه كتاب اللَّه ﷻ، وسنة وسيرة نبينا محمد ﷺ، وهما يعالجان أمر الدنيا والآخرة، ومعصومان بعصمة اللَّه لهما، إذ يقول سبحانه عن هذا الكتاب: ﴿... إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ...﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿... وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ

---

(١) انظر: الإسلام قوة الغد العالمية (ص ٢٠٣).

وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ويقول عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤]، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وقال ﷺ لعبد اللَّه بن عمرو بن العاص - وقد كان يكتب كل شيء يسمعه من رسول اللَّه ﷺ، يريد حفظه، فنهته قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول اللَّه ﷺ بشر يتكلم في الرضا والغضب؟ فأمسك عن الكتابة، وذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فأومأ ﷺ إلى فيه، أي أشار إلى فمه، فقال -: « **اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق** »[1].

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب العلم: باب في كتاب العلم (٣/ ٣١٨) رقم (٣٦٤٦)، والدارمي في السنن: المقدمة: باب من رخص في كتابة العلم (١/ ١٢٥) كلاهما من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا به.

نحوز - نحن المسلمين - اليوم كل هذه العناصر، وتلك المقومات، ومع ذلك فنحن نعاني من كثير من العلل والأمراض: من الفقر والجوع، من الجهل والمرض، من الخوف والقلق، من الكبت والقهر، وعلل وأمراض أخرى كثيرة لا حصر لها ولا نهاية، بيد أن أبرز هذه العلل، وتلك الأمراض، إنما يتمثل في:

- الخراب الذي خيّم على الشخصية المسلمة من كل النواحي الفكرية، والروحية، والبدنية، والسلوكية، حتى باتت تعاني من الجبن والضعف والخور.. من الشح والبخل.. من الأثرة والأنانية.. من الفوضى والهمجية... وهلمَّ جرًّا، أو على الأقل الخلل الذي أصاب بنيان هذه الشخصية، حتى صارت تبرز في جانب على حساب الجوانب الأخرى، فكانت العزلة والتصفية الروحية على حساب العقل والبدن، أو كانت القوة البدنية على حساب الروح والعقل، أو كان الترف الفكري على حساب الروح والبدن، وهذا بدوره أدى إلى قعود هذه الشخصية عن أداء دورها وواجبها على ظهر هذه الأرض، أو حملها على الأداء، ولكنه أداء هزيل ضعيف، لا يسمن ولا يغني من جوع، فصارت تعتمد على عدوها في طعامها وكسائها، وقد قيل: (الأمة التي لا تزرع ما تأكل، ولا تصنع ما تلبس، أمة محكوم عليها بالموت).

- كما أدى إلى الفُرقة والتمزق على كل المستويات الداخلية

والخارجية، الحكومية والشعبية، وتلك هي العلة الثانية أو المرض الثاني الذي يعد من أبرز ما أصاب أمتنا من علل وأمراض، وحسبنا أن مسلمًا يعيش إلى جنب أخيه المسلم في بناية واحدة، فلا يطرق بابه ولا يعرفه إلا يوم وفاته، وتشييعه إلى مثواه الأخير، إن ذلك أدى إلى وقوع بلادنا في قبضة العدو الغاصب، وتحكمه في أعناقنا ورقابنا.

- كما أدى إلى تعطيل شرع الله في الأرض، بإصرار وعن قصد، فصار المسلمون - بعد ثلاثة عشر قرنًا من الزمان - يحكمون بغير القرآن، وبغير هَدْي محمد ﷺ، وشاعت فيهم البدع والخرافات، وعمهم الجهل والفوضى والعمى.

ولعمري إن ذلك لمن أشد هذه العلل وتلك الآفات خطرًا، وأعظمها ضررًا؛ إذ لم يجرؤ واحد من الناس طوال هذه الفترة الزمنية الطويلة التي حكم فيها القرآن، وطبق فيها هدي رسول الله ﷺ - لا حاكمًا ولا محكومًا أن يتطاول على هذا المنهج حتى التتار أنفسهم الذين كانوا يهزمون الناس بسمعتهم، والذين فعلوا بالمسلمين في بغداد وغيرها الأفاعيل، لم يمكنوا من ذلك.. لقد أظهروا كتابًا لهم يسمى « الياسق أو الياسا »[1]، يُحلون فيه الحرام، ويُحَرّمون فيه

(١) الياسق أو الياسا: عبارة عن كتاب وضعه جنكيزخان في القرن السابع الهجري، وهو مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيه كثير من الأحكام أخذها من مجرد=

الحلال، فلم يقبل المسلمون ذلك منهم، وجاهدوهم حتى ألجأوهم إلى الدخول في الإسلام، ونبذ هذا الكتاب، والتحاكم إلى القرآن وهدي النبي الأمين محمد ﷺ[1].

أما اليوم.. فقد عُطل شرع اللَّه في الأرض بإصرار وعن قصد، وعلى مرأى ومسمع منَّا، وسكتنا عن ذلك، حتى صارت هذه البدعة - ألا وهي تعطيل شرع اللَّه في الأرض - واقعًا مفروضًا، وبذلك عرَّضنا أنفسنا لغضب اللَّه وسخطه في الدنيا والآخرة.

- **ثم كان الداء الرابع، وهو تبلد الحسِّ، وموت العاطفة، والغفلة التامة عن كل ما نزل بنا من علل وأمراض**، وهذه أشد وأنكى؛ لأنها إن دامت فسيكون العذاب الأليم في الدنيا، والنار في الآخرة: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ

=نظره وهواه، وكتبه في مجلدين كبيرين بخط غليظ، وكان يحمل عندهم على بعير، ولما اكتمل وضعه كتبه نقشًا في صفائح الفولاذ، وجعله شريعة لقومه، فلما مات التزم أولاده من بعده وأتباعهم حكم « الياسا » هذه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن، وجعلوا ذلك دينًا لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه، انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٦)، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٧)، وكلاهما للحافظ ابن كثير، الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية للدكتور الشيخ عمر الأشقر (ص ٦٢).

(١) الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية (ص ٦٢، ٦٣)، نقلًا عن عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر (٢/ ١٧٢، ١٧٣).

وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

ذلك أن الواقع ينطق بأن في الناس من يصيبه مرض عضال لكنه يشعر به مبكرًا، فيسعى إلى نطاس (طبيب) بارع ماهر، فسرعان ما يشخِّص له الداء، ويكتب الدواء، ثم يأخذ في تعاطي العلاج، ويصبر على مرارته زمانًا، فإذا العافية تدب في أوصاله شيئًا فشيئًا، حتى يصير سليمًا معافى، بينما يكون هناك آخر به مرض يسير، ثم هو لا يشعر به ولكن يلازمه الإهمال، ويسيطر عليه داء الاستهانة والاستهتار، ويظل هكذا حتى يستفحل الداء، ويستعصي العلاج؛ ويكون الموت.

هذا هو واقع أمتنا، تملك الكثير، ولكنها لا تنتفع بما تملك، فصارت كأنها لا تملك شيئًا أبدًا، لا بد إذن من العمل، والعمل الدائب المستمر، حتى تنقشع هذه الظلمة، وتزول تلك الغمة، ونعود إلى ما أراده اللَّه لنا ومنا، ويوم أن أخرجنا إلى الناس، لقد أراد منا أن نكون شهداء على الناس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ ... هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ... ﴾ [الحج: ٧٨].

إننا إذا حقَّقنا هذا المراد كنا كما قال اللَّه: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وظفرنا بالحياة الطيبة في الدنيا، والفوز والنجاة غدًا يوم نرد إلى اللَّه مولانا الحق، الذي له الحكم وهو أسرع الحاسبين: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا... ﴾ [النور: ٥٥].

أجل.. لو حققنا مراد ربنا لكنَّا خير أمة، ولظفرنا بعز الدنيا وسعادة الآخرة، بل لحفظنا على البشرية التائهة الجاحدة من حولنا حق الحياة، وحينئذ تنقشع هذه الظلمة، وتزول تلك الغمة، وتفسح الطريق أمام الناس، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة.. ولا سبيل لذلك كله إلا بالتغيير الذي يبدأ من داخل النفس؛ إذ بصلاحها يصلح الإنسان وتسعد الحياة، وبفسادها يفسد الإنسان وتشقى الحياة، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ويقول ﷺ: «... ألا وإن في الجسد مضغة،

إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب »[1].

لا شك أن النجاح في هذا التغيير يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأمور كثيرة، وعوامل عدة، من بينها أن يكون قائمًا على المشروع المسنون، دونما إحداث أو ابتداع؛ إذ يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويقول ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[2]، وفي رواية: « **من عمل عملاً**

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٠)، ومسلم في الصحيح: كتاب المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩ - ١٢٢١) رقم (١٠٧، ١٠٨)، (١٥٩٩) وابن ماجه في السنن: كتاب الفتن: باب الوقوف عند الشبهات (٢/ ١٣١٨، ١٣١٩) رقم (٣٩٨٤) والدارمي في السنن: كتاب البيوع: باب في الحلال بيِّن (٢/ ٢٤٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٧٠، ٢٧٢) كلهم من حديث النعمان بن بشير مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣/ ٢٤١)، ومسلم في الصحيح: كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣) رقم (١٧)، (١٧١٨)، وأبو داود في السنن: كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠) رقم (٤٦٠٦)، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه (١/ ٧) رقم (١٤)، كلهم من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

ليس عليه أمرنا فهو رد »[1].

من هذا المنطلق كانت هذه الدراسة تحت عنوان: **« منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير، بجانبيه التربوي والدعوي »**.

وحتى يصبح لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن أبعاد ومعالم هذا الموضوع، فإننا سنتناوله - بحمد الله تعالى - في الفصول التالية.

والله من وراء القصد

أبو عمير

د. السيد محمد نوح

* * *
* *
*

(١) هذه الرواية أخرجها مسلم في الصحيح: كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣، ١٣٤٤)، رقم (١٨)، من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - مرفوعًا.

الفَصْلُ الأوَّلُ

حول ماهية ومبادئ أهل السنة والجماعة

جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** »[1]، وعن أنس بن مالك ﷺ،

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب السنة: باب شرح السنة (٤/ ١٩٧، ١٩٨)، رقم (٤٥٩٦)، وابن ماجه في السنن: كتاب الفتن: باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢١)، رقم (٣٩٩١)، والترمذي في السنن: كتاب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥)، رقم (٢٦٤)، والحاكم في المستدرك: كتاب الإيمان: باب تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة (١/ ٦)، وكتاب العلم: باب تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة (١/ ١٢٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، من عدة طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا به، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)، وقال الحاكم: (هذا حديث كثر في الأصول، وقد روي عن سعد بن أبي وقاص، وعبد اللَّه بن عمرو، وعوف بن مالك عن رسول اللَّه ﷺ مثله، وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، واتفقا جميعًا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة)، وأقره الذهبي في تلخيص المستدرك، غير أنه قال: (ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفردًا بل بانضمامه إلى غيره)، وقال الحاكم في الموضع الآخر: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) وأقره الذهبي في تلخيص المستدرك وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣/ =

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة، وهي الجماعة** »[1].

وعن معاوية بن أبي سفيان - رضي اللَّه تعالى عنهما - أنه

= ١٢ - ١٤) رقم (٢٠٣)، وعزاه إلى أبي داود والترمذي، وابن ماجه جميعًا في السنن، وابن حبان في صحيحه، والآجري في الشريعة، والحاكم في المستدرك، وأحمد في المسند، وأبي يعلى في المسند من طرق عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الفتن: باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢٢) رقم (٣٩٩٣)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٨٠) وعقب عليه بقوله: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أيضًا، وأبو يعلى الموصلي) وأحمد في المسند (٣/ ١٢٠، ١٤٥) من طرق عن أنس، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣/ ١٥ - ٢٣)، من عدة طرق، هذا وللحديث لفظ آخر أورده العقيلي في الضعفاء الكبير في ترجمة: معاذ بن ياسين الزيات (٤/ ٢٠١) رقم (١٧٨٢)، قال - أي معاذ بن ياسين -: حدثنا الأبرد بن أبي أشرس عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « تفرق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة »، قالوا يا رسول اللَّه: من هم؟ قال: « الزنادقة وهم القدرية »، ثم عقب عليه بقوله: (هذا حديث لا يرجع منه إلى صحة ولعل ياسين أخذه عن أبيه أو عن أبرد هذا، وليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى بن سعيد ولا من حديث سعد)، أورد هذا اللفظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وعزاه إلى العقيلي والدارقطني، وانتهى إلى أنه حديث مضطرب سندًا ومتنًا، والمحفوظ في المتن: « تفرق أمتي عن ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة »، قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ثم قال: (وهذا من أمثلة مقلوب المتن).

قال: ألا إن رسول اللَّه ﷺ قام فينا، فقال: « **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله** »[1].

وعن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه تعالى عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان**

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتب السنة: باب شرح السنة (٤/ ١٩٨) رقم (٤٥٩٧)، وأحمد في المسند (٤/ ١٠٢)، كلاهما من حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي اللَّه عنهما - مرفوعًا، واللفظ لأبي داود، وأورده الألباني من سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣/ ١٤ - ٢٣)، وردَّ الطعون الواردة عليه سندًا ومتنًا، ومن أحسنها ما نقله عن الشيخ صالح المقبلي في كتابه: العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ (ص ٤١٤)، والذي ختمه بقوله: (إذا حققت جميع ما ذكرنا لك، لم يلزمك السؤال المحذور، وهو الهلاك على معظم الأمة؛ لأن الأكثر عددًا هم العامة قديمًا وحديثًا وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة، ولعل القسمين الأوسطين وكذا من خفت بدعته من الأول، تنقذهم رحمة ربك من الانتظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم؛ لذا تكلمنا على مقتضى الحديث ومصداقه، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق؛ فلعله لا يكون مجموع أفرادهم جزءًا من ألف جزء من سائر المسلمين، فتأمل هذا تسلم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، وصححه وأقرَّه الذهبي.

في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة » قالوا: ومن هي يا رسول اللَّه؟ قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** »[(١)].

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار** » قيل: يا رسول اللَّه، مَنْ هم؟ قال: « **الجماعة** »[(٢)].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة رقم (٢٦٤١)، من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنهما - مرفوعًا به، وعقب عليه بقوله: (هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨، ١٢٩) من حديث عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا بنحوه.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الفتن: باب افتراق الأمم (٢/ ١٣٢٢) رقم (٣٩٩٢) من حديث عباد بن يوسف، عن صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك ﷺ مرفوعًا به، وأورده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٧٩)، وعقب عليه بقوله: (هذا إسناد فيه مقال) وراشد بن سعد قال فيه أبو حاتم: صدوق، وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجه، وليس عنده سوى هذا الحديث، قال ابن عدي: روى أحاديث تفرد بها، وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات، وله شاهد من حديث أبي هريرة، رواه أبو داود في سننه، والترمذي في الجامع، وقال: حسن صحيح).

وبالنظر في مجموع هذه الروايات يمكن تحديد ماهية أهل السنة والجماعة وأنهم كل من نَهَجَ نَهْجَ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه تصورًا وتصديقًا، فقهًا وسلوكًا، ويصدق ذلك على:

١ - كل مَنْ أيقن أن الإسلام نظام ومنهج يحكم الحياة في كل شأن من شئونها، وفي كل ناحية من نواحيها: سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفكرية، وعلمية، وأخلاقية، وعسكرية، وصحية، فضلًا عن أنه عقيدة سليمة، وعبادة صحيحة، وخلق متين.

٢ - وكل من جعل مصدره في الحكم والتشريع، كتاب اللَّه، وسنة وسيرة وهدي محمد ﷺ نصًّا أو اجتهادًا واستنباطًا: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

٣ - وكل من سلك في فهم كتاب اللَّه، وسنة رسوله ﷺ

مسلكًا وسطًا بعيدًا عن التكلف والتعسف، وبعيدًا عن التفريط والتضييع، واضعًا في حسابه اللغة العربية التي نزل بها هذا الكتاب ونطق بها هذا الرسول، بل ورأي العلماء الثقات الأثبات.

٤ - وكل من وضع في حسابه أن كل واحد من الخلق يؤخذ من كلامه، ويرد عليه إلا المعصوم محمد ﷺ، ولكل مجتهد أجره، أصاب أم أخطأ.

٥ - وكل من رأى الخلاف الفقهي في الفروع مظهرًا من مظاهر حيوية هذا الدين، وقدرته على مجابهة كل ما يعرض للبشر من مشكلات إلى قيام الساعة، لا سببًا في الخصومة والبغضاء، وبالتالي الفرقة والتمزق.

٦ - وكل من أمسك عن الخوض فيما لا ينبني عليه عمل، ولا فائدة ترجى من ورائه، توفيرًا للجهد والوقت، وحفاظًا على سلامة الصدر، ووحدة الصف.

٧ - وكل من أيقن أن معرفة اللَّه وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، آخذًا آيات وأحاديث الصفات - التي يوهم ظاهرها مشابهة اللَّه لخلقه - أخذًا يليق به سبحانه من غير تأويل أو تعطيل، ويسعه في ذلك ما وسع النبي ﷺ وأصحابه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا...﴾ [آل عمران: ٧].

٨ - وكل من أيقن أن كلَّ بدعة في دين اللَّه لا أصل لها،

ضلالة تجب محاربتها، والقضاء عليها بالوسائل التي لا تؤدي إلى شر منها.

٩ - وكل من أحبَّ الصالحين، واحترمهم، وأثنى عليهم بما عرف من طيب أعمالهم - قربة إلى اللَّه تبارك وتعالى، مع اعتقاد أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلًا عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم.

١٠ - وكل من أعمل فكره وقدح ذهنه في الوصول إلى ما يحقق السيادة في هذه الأرض مع العبودية الحقة للَّه رب العالمين.

١١ - وكل من التزم بقواعد الإسلام في الحكم على الناس، فلم يكفِّر مسلمًا، أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض - برأي أو معصية - إلا إن أقرَّ بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذَّب صريح القرآن، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر.

١٢ - وكل من جعل العقيدة أساس العمل، وأيقن أن عمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

١٣ - وكل من رأى أن العرف الخاطئ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية، ولا بد من الاحتراز من الخداع اللفظي في

كل نواحي الدنيا والدين؛ إذ العبرة بالمسميات لا بالأسماء.

١٤ - وكل من التزم أدب الخلاف، نازلًا على الحق، وإن خالف رأيه وهواه.

١٥ - وكل من عرف نفسه، وعرف ربَّه، وعرف الكون المحيط به، فانطلق يؤدي لكلٍّ حقه من غير حيف أو جور.

وانطلاقًا مما قدمنا: فإن أهل السنة والجماعة ليسوا منحصرين في فترة زمنية أو مكانية أو في أشخاص بذاتهم وأعيانهم، وإنما كل من توافرت فيه الصفات التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه على النحو الذي نطقت به الروايات المذكورة آنفًا[1].

* * *
* *
*

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، الموافقات للشاطبي، رسالة التعاليم للشيخ حسن البنا.

الفَصْلُ الثَّانِي

حول ماهية الدعوة إلى اللّه، والتربية على الإسلام وعلاقة كل منهما بالآخر

أولًا: ماهية الدعوة إلى اللّه:

لغة: الدعوة هي الصياح أو النداء والطلب، تقول: دعوت فلانًا: أي صحت به واستدعيته، وقد تتعدى بحرف الجر (إلى) فيراد بها الحث على فعل الشيء، تعني: حثَّه على قصده، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده[1].

شرعًا: أما في لسان الشرع، فقد وردت فيها عدة تعاريف، نذكر منها:

* تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، إذ يقول: (الدعوة إلى اللّه، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا)[2].

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٣٦)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٨٦)، الصحاح في اللغة والعلوم (ص ٣١٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٥٧)، وعنه نقل سليمان مرزوق في الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية (ص ١٧).

* وتعريف الدكتور السيد محمد الوكيل؛ إذ يقول: (الدعوة إلى الله هي جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] [١].

* وتعريف الشيخ محمد الصواف؛ إذ يقول: (الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾ [آل عمران: ١٩]، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلًا عنها: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] [٢].

* وتعريف الشيخ فتحي يكن، إذ يقول: (الدعوة هدم وبناء، هدم جاهلية بكل صورها وأشكالها، سواء أكانت جاهلية أفكار أم جاهلية أخلاق، أم جاهلية نظم وشرائع،

---

(١) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة للدكتور السيد محمد الوكيل (ص ٩)، وعنه نقل سليمان مرزوق في الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية (ص ١٧).

(٢) من القرآن وإلى القرآن « الدعوة والدعاة » للشيخ محمد الصواف (ص ٢٢)، وعنه نقل سليمان مرزوق في الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية (ص ١٦).

ومن ثم بناء المجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه، في مظهره وجوهره، في نظام حكمه وأسلوب عيشه، في تطلعه العقيدي للكون، والإنسان، والحياة)[1].

* وتعريف الدكتور توفيق الواعي؛ إذ يقول: (المعنى الذي تحمله الدعوة الإسلامية وتحاول تبليغه للناس هو: جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد بتنفيذ منهج اللَّه في الأرض قولًا وعملًا، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، والصبر والمصابرة على أعباء البلاغ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧][2].

هذه تعاريف خمسة للدعوة، وكلها تلتقي حول مضمون مهم جدًّا، وهو أن الدعوة ليست مقصورة على مجرد التعريف والبلاغ، بل قد تتعدى ذلك إلى البناء والتكوين.

والذي نقوله في هذا المقام: أن الدعوة في حق الجاحدين والمعاندين والمصرّين تعريف وبلاغ، وفي حق المستجيبين من أصحاب الفطر السليمة، والعقول الراشدة، بناء وتكوين، على معنى أنا إذا حاولنا مع الجاحدين والمصرِّين والمعاندين

---

(١) الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، لفتحي يكن (ص ٣٩)، وعنه نقل سليمان مرزوق في الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية (ص ١٦).
(٢) النساء الداعيات للدكتور توفيق الواعي (ص ٨).

البناء والتكوين بعد التعريف والبلاغ، فقد تجاوزنا بالدعوة حدودها، وعرضناها للعبث والضياع، وإذا وقفنا بها مع المستجيبين من أصحاب الفطر السليمة والعقول الراشدة عند حد التعريف والبلاغ، ولم نتخط ذلك إلى البناء والتكوين، فقد حجَّرنا واسعًا، وعرضناها مع أولئك إلى الدمار والزوال.

ولعل ذلك هو ما ينطق به قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

ثانيًا: ماهية التربية على الإسلام:

لغة: تطلق التربية في اللغة على عدة معانٍ نذكر منها:

* النماء والزيادة والرفعة، نقول: ربا الشيء يربو ربوًّا، ورباء، أي زاد ونما، وأربيته نمَّيته، ومنه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ... ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ﴿...كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ... ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥]، ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة: ١٠][1].

* التنشئة والتغذية، والتغذية أعم من أن يكون الغذاء ماديًّا أو معنويًّا، نقول: ربوت في بني فلان وربيت أي نشأت فيهم، وربيته تربية، وتربَّيته أي غذيته، هذا لكل ما ينمَّى، كالولد والزرع ونحوه[2]، ومنه قوله تعالى حكاية عن امتنان فرعون على موسى وتبكيته أن جاءه رسولًا من رب العالمين، مخلصًا لبني إسرائيل من العذاب المهين، وداعيًا له إلى صراط العزيز الحميد؛ إذ قال له: ﴿ ... أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ... ﴾ [الشعراء: ١٨] يعني ألم ننشِّئك فينا ونغذيك بنعمتنا؟

وظني أنه لا تعارض بين المعنيين، وإنما المعنى الثاني طريق وسبب يوصل غالبًا إلى المعنى الأول؛ إذ يلزم غالبًا من التنشئة والتغذية، النماء والزيادة والرفعة.

شرعًا: أما شرعًا فهي العمل بمختلف الأساليب والوسائل التي لا تتعارض مع شرعة الإسلام على رعاية الإنسان وتعهده حتى يصير سيدًا في هذه الأرض، سيادة محكومة بالعبودية التامة لله رب العالمين.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٤٩، ٢٣٥٠)، لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٣٠٤ - ٣١٧)، المعجم الوسيط (١/ ٣٢٦)، الصحاح في اللغة والعلوم (ص ٣٦٣).

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٥٠).

ثالثًا: علاقة كل من الدعوة إلى اللّه والتربية على الإسلام بالآخر:

وعلى ضوء ما قدمنا نستطيع القول بأن الدعوة إذا قرنت بالتربية، فإن العلاقة بينهما هي المغايرة؛ إذ الدعوة حينئذ تعني: التعريف والبلاغ. والتربية تعني: البناء والتكوين، أما إذا انفردت كل واحدة منهما عن الأخرى، فإن الدعوة تكون أعم وأشمل، إذ هي تعريف وبلاغ في حق الجاحدين والمعاندين والمصرين كما قدمنا، وبناء وتكوين في حق المستجيبين، أما التربية حينئذ فهي خاصة بالمستجيبين وحدهم دون من عداهم من الناس، ومقام الحديث الآن يقتضي التغاير، يعني أن تكون الدعوة بمعنى التعريف والبلاغ وأن تكون التربية بمعنى البناء والتكوين.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الحاجة إلى الدعوة والتربية في نظر أهل السنة والجماعة

وينظر أهل السنة والجماعة إلى الدعوة والتربية على أن الحاجة إليهما ماسة وملحة:

أولًا: لاستمطار العون والمدد الرباني في معركتنا مع الباطل أو مع الجاهلية، ذلك أننا بحولنا وقوتنا أمام جحافل وجيوش ودعاية هؤلاء ضعفاء، ولكن بحول الله وقوته أقوياء، وقد جعل الله للإمداد بهذا العون، وذلك المدد، سننًا ونواميس لا تتخلف، وكان من بين هذه السنن، وتلك النواميس الطاعة والاستقامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ﴿... وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ...﴾ [الحج: ٤٠].

والدعوة والتربية هما رأس الطاعة والاستقامة؛ لأنهما يتعديان النفس إلى الغير، وذلك دليل كمال الإيمان: **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »**[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ١٠)، ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (١/ ٦٧، ٦٨)، رقم (٧١، ٧٢)، والترمذي في =

إذن.. فالحاجة إلى الدعوة والتربية ماسة وملحة، حتى نظفر بتأييد اللَّه وعونه ونصره.

ثانيًا: لتنبيه الغافلين، وانتشال الغارقين من الناس ولا سيما المسلمين، فإن الإنسان خلق يوم خلق فطرة بيضاء نقية، لديها استعداد للخير واستعداد للشر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا...﴾ [الشمس: ٧، ٨].

والبيئة التي ينشأ فيه الإنسان أو التي تحيط به، هي التي تساعد في صنعه على شاكلتها، إن كانت خيرة كان خَيِّرًا، وإن كانت شريرة كان شريرًا: « **المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل** »[1].

والناس اليوم - لا سيما المسلمون - يعيشون في أجواء

= السنن: كتاب صفة القيامة: باب منه (٤/ ٦٦٧) رقم (٢٥١٥)، والنسائي في السنن: كتاب الإيمان: باب علامة الإيمان (٨/ ١١٥، ١٢٥)، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب في الإيمان (١/ ٢٦)، رقم (٦٦)، والدارمي في السنن: كتاب الرقاق: باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢/ ٣٠٧)، وأحمد في المسند (٣/ ١٧٦، ٢٠٦، ٢٥١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٩)، كلهم من حديث أنس بن مالك مرفوعًا واللفظ للبخاري، وعقب الترمذي على حديثه قائلًا: (هذا حديث صحيح).

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب: باب من يؤمر أن يجالس (٤/ ٢٥٩)، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي في السنن: كتاب الزهد: باب منه (٤/ ٨٥٩)، رقم (٢٣٧٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤)، كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، واللفظ لأحمد، وعقب الترمذي على حديثه قائلًا: (هذا حديث حسن غريب).

ساد فيها العفن، وسيطر عليها الشر، وساد فيها الفساد وانتشر، الأمر الذي أدى إلى غفلة وسقوط كثيرين، وهؤلاء لهم علينا حق التذكير والعناية والرعاية، لعلهم يتوبون أو يذكرون، سيما وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه كيف يشاء، وما ندري؟ فلعله يكون من بين هؤلاء من يكون سببًا في فتح ونصر قريبين للمسلمين، لقد كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب، وهداه الله وأسلم، وكان إسلامه فتحًا وبركة ويمنًا ونصرًا للمسلمين، بل كان باب حماية لهم لم يكسر، ولم يلج منه العدو إلا بعد موته.

ثالثًا: ولإقامة الحجة على المُصرِّين والمعاندين، فإن نفرًا من الناس في فطرتهم عوج والتواء، وإصرار وعناد، وأمثال هؤلاء لا يفيقون إلا في وقت الشدائد والمحن، وواجبنا نحوهم التذكير والإنذار والتخويف، حتى إذا نزلت الشدائد، وكان العقاب، لا يقولون: لو وجدنا من أرشدنا ودلنا على الطريق، لكُنَّا أهدى الناس، وأقومهم قيلًا. ومن ثم يتوجهون إلينا بالتأنيب والتوبيخ والعتاب، ويحاجون الله وله سبحانه الحجة البالغة؛ لذا قال عن حكمة بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل الكتاب: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩]، وقال عن

حكمة إرسال الرسل عمومًا: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

إذن.. فالحاجة مُلحَّة وماسَّة، إلى الدعوة والتربية، لئلا يبقى لهؤلاء عذر أو حجة، ولئلا يقع علينا منهم تأنيب أو توبيخ أو عتاب، وإلى هذه الحاجة الثانية والثالثة أشار رب العزة في كتابه قائلًا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

رابعًا: ولتكوين الرأي العام المسلم الحر، الذي له دور كبير في حراسة وحماية آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها، وبناء شخصية وسلطان لها، هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون، بل والضغط على هذه الجاهلية، أو على هذا الباطل، حتى يسلم أو يزول، أو على الأقل يحجم دواعي الشر والإثم فيه، فيعمل لهذا الرأي قبل أن يُقدم على أي خطوة تطاول أو هدم ألف حساب وحساب، وصدق الله القائل: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠].

خامسًا: ولنحيا نحن وأهلنا وأولادنا وأحفادنا، وذوونا والناس جميعًا، حياة طيبة على ظهر هذه الأرض، ونظفر غدًا بجنات

تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من اللَّه أكبر، فإننا بالدعوة والتربية نرقى إيمانيًّا حتى نؤثر في الناس، ويقبل قولنا عندهم.

ولعل هذا هو سر تأخير الإيمان باللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة للَّه والرسول، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وإننا بالدعوة والتربية نرقى فكريًّا؛ إذ هما يتطلبان خبرة ودراية بأنجح أساليب الدعوة والتربية. والخبرة والدراية يكتسبان بكثرة القراءة والاطلاع، ومعايشة ذوي التجارب الذين سبقوا على الطريق، ولعل هذا هو المراد من قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإننا بالدعوة والتربية نصح ونعافى، ونقوى بدنيًّا؛ إذ هما يتطلبان حركة ودراية دائبة وسعيًا مستمرًّا، والحركة المستمرة والسعي الدائب، طريق إلى الصحة والعافية والقوة البدنية. ولعل هذا هو المراد من قوله ﷺ: «نضَّر اللَّه امرءًا سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[1].

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب العلم: باب فضل نشر العلم=

وإننا بالدعوة والتربية يحسن سلوكنا، وتستقيم أخلاقنا، فنؤثر في عامة الناس من ناحية، ونستمطر عون إخواننا العاملين معنا على الطريق من ناحية أخرى، فإن تأثير السلوك الحسن، والخلق القويم أوقع وأفعل في النفس من تأثير آلاف الخطب والمواعظ، ولعل هذا هو المراد من قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

= (٣/ ٣٢٢) رقم (٣٦٦٠)، من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا بهذا اللفظ، والترمذي في السنن: كتاب العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/ ٣٣ - ٣٥)، رقم (٢٦٥٦) من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا به، وعقب عليه بقوله: (وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير ابن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس، وحديث زيد بن ثابت حديث حسن)، ورقم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، من حديث ابن مسعود بمعناه، وزيادة: « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط بهم من ورائهم » وعقب عليه قائلًا: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب من بلغ علمًا (١/ ٨٤ - ٨٦)، رقم (٢٣٠)، من حديث زيد بن ثابت، ورقم (٢٣١)، من حديث جبير ابن مطعم، ورقم (٢٣٢)، من حديث ابن مسعود، ورقم (٢٣٦)، من حديث أنس بن مالك مرفوعًا به وبنحوه، وكتاب المناسك: باب الخطبة يوم النحر (٢/ ١٠١٥، ١٠١٦)، رقم (٣٠٥٦)، من حديث المطعم بن عدي، وقد تكلم الحافظ شهاب الدين البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: المقدمة: باب من بلغ علمًا (١/ ٣٢، ٣٣)، وكتاب المناسك: باب الخطبة يوم النحر (٢/ ٢٠٦)، على أسانيد بعض هذه الأحاديث إلا أنها ثابتة المتون عند الأئمة، والدارمي في السنن: المقدمة (١/ ٧٤ - ٧٦)، من حديث جبير ابن مطعم، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأحمد في: المسند (١/ ٤٣٧)، من حديث ابن مسعود (٣/ ٢٢٥)، من حديث أنس بن مالك (٤/ ٨٠ - ٨٢)، من حديث جبير بن مطعم (٥/ ١٨٣)، من حديث زيد بن ثابت ﷺ مرفوعًا.

فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وإننا بالدعوة والتربية نفوز غدًا بالجنة والرضوان: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

سادسًا: ولننجو من العقاب في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط، فإن التقصير في القيام بواجب الدعوة والتربية يؤدي إلى انتشار الشر والفساد، الذي يأتي على الأخضر واليابس، ولا يسلم منه أحد، ويكون سببًا في العقاب، والنهوض بهذا الواجب يكون سببًا في النجاة، على حدِّ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وعلى حدِّ قوله ﷺ في حديثه لعائشة - رضي اللَّه عنها -: « **يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم** » قالت: يا رسول اللَّه، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: « **يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم** »[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (معلقًا) في الصحيح: كتاب الحج: باب=

وقد ضرب الرسول ﷺ مثلًا لهذه الحاجة في قوله: « مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا »[1].

= هدم الكعبة (٢/ ١٨٣)، ووصله في كتاب البيوع: باب ما ذكر في الأسواق (٣/ ٨٦)، من حديث: عائشة مرفوعًا به، ومسلم في الصحيح: كتاب الفتن: باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٤/ ٢٢٠٨ - ٢٢١١) رقم (٨٠٤) من حديث أم سلمة، وعائشة، وحفصة بنحوه وبمعناه، وأبو داود في السنن: كتاب المهدي (٤/ ١٠٨) رقم (٤٢٨٩) من حديث أم سلمة مختصرًا، والترمذي في السنن: كتاب الفتن: باب منه (٤/ ٤٦٩) رقم (٢١٧١) من حديث أم سلمة مختصرًا، وقال عقيبه: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) وقد روي هذا الحديث عن نافع بن جبير عن عائشة أيضًا عن النبي ﷺ، باب ما جاء في الخسف (٤/ ٤٧٨) رقم (٢١٨٤) من حديث مسلم بن صفوان عن صفية مرفوعًا بنحوه، وعقّب عليه قائلًا: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في السنن: كتاب الحج: باب حرمة الحرم (٥/ ٢٠٦، ٢٠٧) من حديث أبي هريرة، وحفصة مرفوعًا بمعناه، وابن ماجه في السنن: كتاب الفتن: باب جيش البيداء (٢/ ١٣٥٠، ١٣٥١) رقم (٤٠٦٣ - ٤٠٦٥) من حديث حفصة وصفية، وأم سلمة - رضي اللَّه تعالى عنهن جميعًا - مرفوعًا بمعناه، وأحمد في المسند (٦/ ١٠٥، ٢٥٩، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٣٦، ٣٣٧) من حديث عائشة وحفصة، وأم سلمة وصفية - رضي اللَّه تعالى عنهن - مرفوعًا بنحوه وبمعناه.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الشركة: باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٣/ ١٨٢)، وكتاب الشهادات: باب القرعة=

سابعًا: ولأن الدعوة والتربية هما أساس بناء الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير والمتأبية على كل خصال الشر، والمستأهلة لعون اللَّه وتأييده ونصره، وبمعنى آخر الشخصية المسلمة التي يساوي فيها الواحد أمة من البشر، أو الشخصية المسلمة القرآنية التي شعارها في هذه الحياة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ... ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، والتي هي ستار لتنفيذ قدر اللَّه في الأرض؛ إذ بالدعوة والتربية يكون التبصير بالعيوب فيسهل العلاج، ويكون الانتشال من الوهدة إلى القاع لذوي الهمم الفاترة، والعزائم الضعيفة، والإرادات النازلة، وتكون الخبرات والتجارب، ويكون القضاء على الفراغ، ومقاومة الفتور واليأس والقنوط، ويكون تفجير الطاقات، وبعث القوى والإمكانيات، والصبر والتحمل... إلخ.

ثامنًا: ولأن الدعوة والتربية هما طريق الوحدة بين المسلمين، لأنهما يثيران في النفس الإحساس بمعاني الأخوة والتكامل، والتعاون على البر والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم ببعض، وكلها معانٍ تؤدي إلى الترابط والوحدة بين المسلمين، وبالجملة فإننا لا يمكن أن نمكِّن لمنهج اللَّه

= في المشكلات (٣/ ٢٣٧)، والترمذي في السنن: كتاب الفتن: باب منه (٤/ ٤٧٠) رقم (٢١٧٣)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤) كلهم من حديث النعمان بن بشير ﷺ مرفوعًا، واللفظ للبخاري، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: (هذا حديث حسن صحيح).

في الأرض من جديد إلا بالدعوة والتربية؛ إذ هما يساعدان على إيجاد من يأتي بالنصر، بل من يحرس ويحافظ على هذا النصر، والإتيان بالنصر شاق، وحماية وحراسة هذا النصر أشق، على أنَّ لنا في منهج رسول اللَّه ﷺ، حين مكَّن لدين اللَّه في الأرض أول مرة - الأسوة والقدوة: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].. حيث بدأ يجاهد بالدعوة والتربية، وأطال النفس في ذلك، حتى إذا استقامت النفوس، وطهرت القلوب، لم يحتج إلى أي لون من المجاهدة.

وفي ذلك يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي جزاه اللَّه خيرًا: (مكث رسول اللَّه ﷺ ثلاث عشرة حجة يدعو إلى اللَّه وحده، والإيمان برسالته واليوم الآخر في كل صراحة، لا يكنِّي، ولا يلوِّح، ولا يلين، ولا يستكين ولا يحابي، ولا يداهن، ويرى في ذلك دواء لكل داء، وقامت قريش وصاحوا به من كل جانب، ورموه عن قوس واحدة، وأضرموا البلاد عليه نارًا ليحولوا بينه وبين أبنائهم، وإخوانهم، فتقدم فتية من قريش لا يستخفهم طيش الشباب، ولا يستهويهم مطمع من مطامع الدنيا، إنما همهم الآخرة، وبغيتهم الجنة... فما كان من قريش إلا ما توقَّعوه، فقد نثرت كنانتها، وأطلقت عليهم كلَّ سهم من سهامها، فما زادهم كل هذا إلا ثقة، وتجلُّدًا، وقالوا: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ

إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، ولم يزدهم هذا البلاء والاضطهاد في الدين إلا متانة في عقيدتهم، وحمية لدينهم، ومقتًا للكفر وأهله، وإشعالًا لعاطفتهم وتمحيصًا لنفوسهم، فأصبحوا كالتِّبر المسبوك، واللُّجين الصافي، وخرجوا من كل محنة خروج السيف بعد الجلاء.

هذا.. والرسول ﷺ يغذي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن، وخشوع قلب، وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون في كل يوم سموًّ روح، ونقاء قلب، ونظافة خلق، وتحريرًا من سلطان الماديات، ومقاومة الشهوات، ونزوعًا إلى رب الأرض والسماوات...

ولم يزل الرسول ﷺ يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويزكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخًا في الدين، وعزوفًا عن الشهوات، وتفانيًا في سبيل المرضاة، وحنينًا إلى الجنة، وحرصًا على العلم، وفقهًا في الدين، ومحاسبة للنفس...

وانحلت العقدة الكبرى - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول ﷺ جهاده الأول، فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمرٍ ونهي، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى، فكان النصر حليفه في كل

معركة... حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة، ولا تبطرهم نعمة اللَّه، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة، ولا تستخفهم قوة، ولا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوَّامين بالقسط شهداء للَّه ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطَّأ لهم أكناف الأرض، وأصبحوا عصمة للبشرية، ووقاية للعالم، وداعية إلى دين اللَّه، واستخلفهم رسول اللَّه ﷺ في عمله، ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته)[1].

* * *
* *
*

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٩٦ - ٩٩) بتصرف.

الفصل الرابع

أهداف أهل السنة والجماعة من الدعوة إلى اللّه والتربية على الإسلام

ويهدف أهل السنة والجماعة من الدعوة إلى اللّه والتربية على الإسلام:

١ - تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، أو على الأقل في الآخرة فقط، بنيل الجنة والرضوان، بحيث لا يقعد بهم فوات النصر، والتمكين في الدنيا عن المضي في الطريق، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢]، وقال ﷺ: « من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله »[1]، « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإمارة: باب فضل إعانة الغازي في سبيل اللّه بمركوب وغيره (٣/ ١٥٠٦) رقم (١٨٩٣)، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب: باب في الدالّ على الخير (٤/ ٣٣٣) رقم (٥١٣٩)، والترمذي في السنن: كتاب العلم: باب ما جاء في الدالّ على الخير كفاعله=

أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا »[1]، « .. فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا، خير لك من حُمْر النَّعم »[2].

=(٤/ ٤١، ٤٢) رقم (٢٦٧١)، كلهم من حديث أبي مسعود البدري، وقال الترمذي عقيب حديثه: (هذا حديث حسن صحيح) وزاد رواية أخرى من حديث أنس بن مالك، ثم عقب عليها بقوله: (هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث أنس عن النبي ﷺ) وأحمد في المسند (٤/ ١٢٠، ٥/ ٢٧٤)، من حديث أبي مسعود البدري مرفوعًا (٥/ ٣٥٧) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعًا، وسبب ورود الحديث كما في مسلم: أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أبدع بي (يعني هلكت دابتي وهي مركوبي) فاحملني، فقال: « ما عندي » فقال رجل: يا رسول اللَّه، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول اللَّه ﷺ: « من دل على خير فله مثل أجر فاعله ».

(١) الحديث أخرجه البخاري مختصرًا في الصحيح (الترجمة): كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سنَّ سنة سيئة (٩/ ١٢٧)، ومسلم في الصحيح: كتاب العلم: باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٤/ ٢٠٦٠) رقم (١٦) (٢٦٧٤)، وأبو داود في السنن: كتاب السنة: باب لزوم السنة (٤/ ٢٠١) رقم (٤٦٠٩)، والترمذي في السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى (٥/ ٤٣) رقم (٢٦٧٤)، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة (١/ ١٣٠، ١٣١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٩٧، ٥٠٥) كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا به وبنحوه، وتمام لفظه كما في مسلم: «... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا ».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الجهاد: باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة (٤/ ٥٧، ٥٨) وباب فضل من أسلم على يديه رجل (٤/ ٧٣)، وكتاب أصحاب النبي ﷺ: باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (٥/ ٢٢، ٢٣)، وكتاب المغازي: باب غزوة خيبر (٥/ ١٧١)، ومسلم في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ =

٢ - تهيئة الأمة للمطالبة بتطبيق شرع اللَّه في الأرض، أو على الأقل عدم معارضة ومناهضة تطبيق شرع اللَّه في الأرض، إن لم تكن المساندة والمؤازرة، مثل هذا النفر من أهل الكتاب الذين هيأهم رسول اللَّه ﷺ بدعوته أول مرة، فما كرهوا هذا الدين الذي جاء به، وما عارضوه، بل آزروه بإسلامهم، وحمايتهم له، وفي ذلك قال رب العزة: ﴿ ... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا

= (٤/ ١٨٧١ - ١٨٧٣)، رقم (٣٣، ٣٤، ٣٥)، الترمذي في السنن: كتاب المناقب: باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ (٥/ ٦٣٨)، رقم (٣٧٢٤)، كلهم من حديث سهل بن سعد مرفوعًا بنحوه وبمثله، وزاد مسلم روايتين إحداهما من حديث أبي هريرة ﷺ والأخرى من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ، ولفظ مسلم عن سهل بن سعد أنه قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال يوم خيبر: « لأعطين هذه الراية رجلًا يفتح اللَّه على يديه، يحب اللَّه ورسوله، ويحبه اللَّه ورسوله » قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللَّه ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال: « أين علي بن أبي طالب؟ » فقالوا: هو يا رسول اللَّه يشتكي عينيه، قال: « فأرسلوا إليه » فأتي به فبصق رسول اللَّه ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول اللَّه، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: « انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم للإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللَّه فيه، فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »، و (حمر النعم) هي الإبل الحمر، وهي أنفسُ أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وإنه ليس هناك أعظم منه، انظر لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢١٠).

مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٤]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾ [الرعد: ٣٦]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ... ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٣].

٣ - **إعداد أو بناء المستعدين للتضحية والبذل والعطاء من الأمة**، إعدادًا يؤهلهم إلى مقارعة الباطل، وإرغامه على الانقياد لحكم اللَّه، أو التخلي وإفساح الطريق أمام الناس، ثم المرابطة على الثغور لحماية هذا الدين من كيد الكائدين، وعبث العابثين، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

٤ - **إقامة الحجة على الجاحدين والمصرِّين والمعاندين**

حتى إذا كانت مؤاخذة أو عذاب، لا يقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿... قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ... ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

٥ - **حفظ حق الحياة على هذه البشرية الجامحة الهائجة، التي باتت تُروِّع الناس من حولها، بل باتت تُروِّع نفسها من نفسها،** الأمر الذي ينذر بالخراب والدمار، وبذلك نحقق لأنفسنا هذه المنزلة، وتلك المكانة، التي أرادها مِنَّا رب العزة في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد لخَّص أهداف الدعوة إلى اللَّه، والتربية على الإسلام، من وجهة نظر أهل السنة والجماعة، قبل أن يبرز أهل السنة والجماعة على مسرح الحياة الإسلامية، بأكثر من قرن، بصورة رسمية، تحدهم بحدود، وتجمعهم بقيود - لخَّص ذلك الصحابي الجليل ربعي بن عامر لما سأله رستم قائد جيوش الفرس: ما جاء بكم؟ فرد عليه: « اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبِل ذلك قَبلنا

منه، ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود اللَّه، قالوا: وما موعود اللَّه؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى »[1].

* * *
* *
*

(١) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ٣٩)، وعنه نقل الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (ص ١٠٤).

الفَصْلُ الخَامِسُ

حكم الدعوة إلى اللّه، والتربية على الإسلام من وجهة نظر أهل السنة والجماعة

وينظر أهل السنة والجماعة إلى الدعوة إلى اللَّه، والتربية على الإسلام، على أنهما واجبان مفروضان، لا يصح إهمالهما، أو التواني والتفريط فيهما:

١ - للأوامر الواردة في هذا الشأن مباشرة أو غير مباشرة، صريحة أو ضمنية، فمن الأوامر المباشرة، قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله ﷺ: « ... ليبلِّغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلِّغ من هو أوعى له منه »[(١)]، .....

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب العلم: باب قوله ﷺ: « رُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع »، وباب (ليبلغ العلم الشاهد الغائب) (١/ ٣٧): « وكتاب الحج: باب لا يعضد شجر الحرم (٣/ ١٧، ١٨)، وكتاب المغازي: باب منه (٥/ ١٩٠)، وكتاب الأضاحي يوم النحر (٧/ ١٢٩، ١٣٠)، وكتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض » (٩/ ٦٣) وكتاب التوحيد: باب قول اللّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] (٩/ ١٦٣) من حديث أبي بكرة، وأبي شريح العدوي، وابن عمر مرفوعًا به، ومسلم في الصحيح: كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها (٢/ ٩٨٧،=

«... بلغوا عني ولو آية... »[1]؛ إذ هذه جميعًا أوامر، والأمر إذا

=٩٨٨) رقم (٤٤٦)، وكتاب القسامة: باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣/ ١٣٠٥، ١٣٠٦) رقم (٢٩، ٣٠) من حديث أبي بكرة مرفوعًا به، وأبو داود في السنن: كتاب الصلاة: باب من رخص فيهما - أي الركعتين بعد العصر - إذا كانت الشمس مرتفعة (٢/ ٢٥) رقم (١٢٧٨) من حديث يسار مولى ابن عمر قال: رآني ابن عمر وأنا أصلي بعد طلوع الفجر، فقال: يا يسار، إن رسول الله ﷺ خرج علينا ونحن نصلي هذه الصلاة، فقال: « ليبلغ شاهدكم غائبكم، لا تصلوا بعد الفجر إلا سجدتين »، والترمذي في السنن: كتاب الحج: باب ما جاء في حرمة مكة (٣/ ١٧٣، ١٧٤) رقم (٨٠٩) من حديث أبي شريح، والنسائي في السنن: كتاب مناسك الحج: باب تحريم القتال فيه (٥/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب من بلغ علمًا (١/ ٨٥، ٨٦) رقم (٢٣٣) من حديث أبي بكرة ورقم (٢٣٤) من حديث معاوية القشيري، ورقم (٢٣٥) من حديث ابن عمر. قدمنا كلام الشهاب البوصيري على أسانيد هذه الأحاديث وأن متونها ثابتة عند الأئمة، وأحمد في المسند (٤/ ٣١، ٣٢)، من حديث أبي شريح (٥/ ٤) من حديث معاوية القشيري (٥/ ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٩) من حديث أبي بكرة (٥/ ٧٢) من حديث أبي حرة الرقاشي (٥/ ٤١١) من حديث أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبي ﷺ في وسط أيام التشريق... الحديث (٦/ ٣٨٥) من حديث أبي شريح الخزاعي، والدارمي في السنن: كتاب المناسك: باب في الخطبة يوم النحر (٢/ ٦٧، ٦٨)، من حديث أبي بكرة مرفوعًا.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/ ٢٠٧)، والترمذي في السنن: كتاب العلم: باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٥/ ٤٠)، رقم (٢٦٦٩)، والدارمي في السنن: المقدمة: باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن (١/ ١٣٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤)، كلهم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنهما - وتمام لفظه: « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار ».

أطلق يفيد معنى الوجوب والإلزام، ما لم تكن قرينة تصرفه عن الوجوب إلى غيره، ولا قرينة هنا.

ومن الأوامر الصريحة غير المباشرة، قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ ... وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ... ﴾ [الشورى: ١٥]؛ إذ هذا خطاب له ﷺ وخطابه ﷺ خطاب لأمته، ما لم تقم قرينة، تدل على أن هذا الخطاب من خصوصياته ﷺ، ولا قرينة هنا، بل إن قيام المسلمين بعده ﷺ - من عهد أبي بكر إلى عهد قريب جدًّا - بهذا الواجب لهو القرينة على أن الخطاب يتناول الأمة، ويكون ذلك من باب حفز همم الأمة وعزائمها للقيام بهذا الواجب، وعدم التواني أو التفريط فيه لحظة واحدة؛ لأنه إذا كان نبينا وإمامنا ﷺ وهو الذي لا يتأتى منه إهمال أو تقصير أو تفريط في هذا الواجب قد أمر به، فكيف بنا نحن المسلمين الذين شأننا التقصير والتفريط؟ إن الأمر في حقنا إذن يكون أوكد وأوجب.

ومن الأوامر الضمنية، قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ ... مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟

شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴾ [الحج: ٧٨]؛ إذ الشهادة تقتضي البلاغ الذي هو الدعوة، كما تقتضي الأسوة الطيبة التي هي التربية، فيكونان واجبين مفروضين تبعًا لوجوب وفرضية الشهادة، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ... ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢]، وقوله ﷺ: **« نضر اللَّه امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه ليس بفقيه »**[1].

إذًا الكلام هنا، وإن كان مسوقًا بصيغة الخبر، لكنه يحمل في طياته معنى الأمر، بناء على القاعدة الأصولية المشهورة من أن: « كل فعل كسبي عظمه الشرع، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبه، أو أحب فاعله... إلخ، فهو مأمور به »[2]، كأنه قال هنا: آمنوا باللَّه ورسوله، وجاهدوا في سبيل اللَّه بأموالكم وأنفسكم يكن ذلك خيرًا لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم...،

---

(١) الحديث سبق تخريجه (ص ٣٣).

(٢) انظر: الإلمام في بيان أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام: الفصل الثاني في تقريب أنواع أدلة الأمر: المثال الثاني، المثال التاسع والعشرون (ص ٨٧، ٨٨، ١٠٢).

وقال: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وآمنوا باللَّه تكونوا خير أمة أخرجت للناس.

وكأن النبي ﷺ قال في حديثه هنا: اسمعوا حديثنا واحفظوه وبلِّغوه تظفروا بالنضرة والحيوية والشباب، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

وإنما سيق هذا الكلام هكذا ليكون لفتة إلى أن المؤمن لكمال إيمانه، ولرقة إحساسه وشعوره، ليس بحاجة إلى أمر صريح مباشر، وإنما حسبه أن يعلم ولو من طرف خفي، أن هذا العمل يرضى عنه اللَّه ورسوله، فيبادر إلى الامتثال والتنفيذ، ويأتي القرآن ويأتي الحديث، ليخبرا عنه بصيغة الخبر المقرون بالثناء والمدح، فتكون هذه من خصائص المؤمنين دون مَنْ عداهم مِن الناس.

٢ - **ولأن رسالته ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين عالمية** إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ... ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿ ... وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وكما قال هو ﷺ عن نفسه: «... **وكان النبي يبعث إلى قومه**

خاصة، وبعثت إلى الناس عامة »[1].

والناس جميعًا مخاطبون أن يعملوا بها، وينزلوا على حكمها: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٣].

ومقتضى عالمية الرسالة إلى قيام الساعة مع هذا الخطاب، أن تكون الدعوة إليها والتربية عليها كذلك إلى قيام الساعة، فإن اللَّه رحمة منه بعباده ما كان ليؤاخذهم قبل البيان والبلاغ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ... ﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب التيمم: باب منه (١/ ٩١، ٩٢)، كتاب الصلاة: باب قول النبي ﷺ: « جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا » (١/ ١١٩)، وكتاب فرض الخمس: باب قول النبي ﷺ: « أحلت لكم الغنائم » (٤/ ١٠٤) من حديث جابر بن عبد اللَّه مرفوعًا، ومسلم في الصحيح كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب منه (٢/ ٣٧٠، ٣٧١)، رقم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد اللَّه، ورقم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة، وفيه: « فضلت على الأنبياء بست » بدل « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي » والترمذي في السنن: كتاب السير: باب ما جاء في الغنيمة (٤/ ١٢٣) رقم (١٥٥٣) من حديث أبي هريرة، وعقب عليه بقوله: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في السنن: كتاب الطهارة: باب التيمم بالصعيد (١/ ٢٠٩ - ٢١١) من حديث جابر بن عبد اللَّه، وأحمد في المسند (٢/ ٤١١) من حديث أبي هريرة (٥/ ٢٤٨، ٢٥٦) من حديث أبي أمامة الباهلي، ولفظه كما عند البخاري في التيمم: « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة ».

قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ... ﴾ [طه: ١٣٤].

وقد بيَّن النبي ﷺ في حياته بكل الأساليب والوسائل التي أتيحت له، من الكلمة شفاهًا ومكاتبة، مباشرة أو بواسطة رسله، وكذلك بالسلوك والتطبيق؛ إذ هو الأسوة والقدوة، لمن كان يرجو اللَّه واليوم الآخر وذكر اللَّه كثيرًا، وبيَّن أصحابه من بعده، وتتابع المسلمون على ذلك، ويجب أن يبقى الأمر على هذا النحو ما بقيت الحياة، لا سيما وأنه ما يأتي زمان إلا وما بعده شرٌّ منه، والشر لا يواجه بالسكوت، وإلا لتحولت الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ... ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ... ﴾ [الحج: ٤٠]، وإنما يواجه بالإيجابية التي تقضي عليه، أو تحصره على الأقل في دائرة محدودة لا يتعداها.

٣ - **وللوعيد الشديد الوارد في شأن من يكتمون العلم ولا يبينونه للناس:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ

فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ [البقرة: ١٧٤]، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، والخروج من هذا الوعيد يقتضي القيام بواجب الدعوة والتربية.

٤ - **ولأن التمكين لمنهج اللَّه في الأرض لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، وحفظ حق الحياة على الناس من حولنا واجب، والدعوة والتربية طريقان لا بد منهما لتحقيق الواجب،** وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما يقول الأصوليون.

٥ - **ولإجماع المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على** وجوب الدعوة والتربية حتى وإن قصرت الهمم، وضعفت العزائم عن القيام بهذا الواجب.

لهذه الأدلة وغيرها، يقرر أهل السنة والجماعة، أن الدعوة إلى اللَّه والتربية على الإسلام واجبان مفروضان، بيد أن نوع الوجوب أو الفرضية يحتاج إلى بيان وإيضاح.

* **أما بالنسبة إلى الدعوة:** فإن الوجوب أو الفرضية إنما هو عام، وبعبارة أخرى هو عيني، يعني مطلوب من كل المسلمين، كلٌّ حسب طاقاته، وإمكاناته، ولا يُعفَى أحد من القيام بهذا الواجب، أو هذا الفرض، **للأدلة التي قدمناها وهي:**

(أ) قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ

عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ... ﴾ [الحج: ٧٨]؛ إذ الشهادة على الناس تقتضي البلاغ لهم، ليظفروا بالثناء والمدح إن التزموا، أو لتلزمهم الحجة إن أعرضوا أو قصروا، وتمام البلاغ إنما يكون بتضافر كل الجهود الفردية والجماعية، وذلك هو العموم أو عينية الوجوب.

(ب) وقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]؛ إذ الآية تفيد العموم أو الوجوب العيني سواء أكانت « من » للبيان أم للتبعيض:

- **أما كونها للبيان فواضح**، إذ المعنى كما يقول الطبري: (ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة أو جماعة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر)[1]، وكما يقول ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك**

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٤/ ٢٦).

أضعف الإيمان »، وفي رواية: « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »)[1].

يقول الشيخ محمد عبده: (جملة القول: أن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرض حتم على كل مسلم، كما تدل عليه الآية في ظاهرها المتبادر، وغيرها من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [المائدة: ٧٩]، وكذلك عمل الرسول ﷺ وأصحابه - رضي اللَّه عنهم -، وكون هذا حفاظًا للأمة وحرزًا ظاهرًا، فإن الناس إذا تركوا دعوة الخير، وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكرات خرجوا عن معنى الأمة، وكانوا أفذاذًا متفرقين لا جامعة لهم؛ ولهذا ضرب الرسول ﷺ للمداهن مثل راكب في سفينة يطوف على جماعة معه بماء وكلٌّ ينفر مما معه فقال لهم: إني في حاجة إليه وذهب ينقر في السفينة، فإن أخذوا على يده نجوا ونجا معهم، وإلا هلك وهلكوا جميعًا، فَفُشُوّ المنكرات مهلكة للأمة: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] فلا بد للمرء في حفظ نفسه ومن معه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا سيما أمهات المنكرات المفسدة للاجتماع؛ كالكذب والخيانة والحسد والغش: فهذا ليس من فروض الكفاية التي يتواكل فيها الناس كصلاة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٩٠).

الجنازة، إذ لا يجب على كل من علم أن هنا ميتًا أن ينتظر غسله ليصلي عليه بل يكفي أن يعلم أنه يوجد من يصلي عليه، ولكنه إذا رأى منكرًا وجب عليه أن ينهى عنه، ولا ينتظر غيره؛ لأنه تغير على رأيه)[1].

- **وأما كونها للتبعيض فمعناه**: أنتم أيها المؤمنون مكلفون جميعًا بهذا الأمر، وعليكم في سبيل تطبيق هذا التكليف أن تختاروا وأن تنتخبوا بعضًا أو طائفة منكم لتقوم بهذا الواجب، بل عليكم أن تؤازروها بتوفير حاجياتها التي تعينها على أداء مهمتها، وبالوقوف من ورائها، وحمايتها من سطوة كل جبار عنيد، فالكل إذًا في دعوة، ولكن حسب طاقاته وإمكاناته التي وهب اللَّه ﷻ.

يقول الشيخ محمد عبده: (بقي علينا بيان معنى الآية على القول بأن « من » للتبعيض وتقدير الكلام: ولتكن منكم أمة متميزة تقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمخاطب بهذا جماعة المؤمنين كافة، فهم المكلفون أن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة، فههنا فريضتان، إحداهما: على جميع المسلمين، والثانية: على الأمة التي يختارونها للدعوة، ولا يفهم معنى هذا حق الفهم إلا بفهم معنى لفظ الأمة، وليس معناه الجماعة كما قيل، وإلا لما

---

(١) انظر: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٤/ ٣٥، ٣٦).

اختير هذا اللفظ، والصواب: أن الأمة أخص من الجماعة، فهي الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص، والمراد بكون المؤمنين كافة مخاطبين بتكوين هذه الأمة لهذا العمل، هو أن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل في إيجادها وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة، حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافًا أرجعوها إلى الصواب، وقد كان المسلمون في الصدر الأول لا سيما زمن أبي بكر وعمر وعلي، على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة، حتى كان الصعلوك من رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب - وهو أمير المؤمنين - وينهاه فيما يرى أنه الصواب. ولا بدع، فالخلفاء على نزاهتهم وفضلهم ليسوا بمعصومين وقد صرح عمر بخطئه ورجع عن رأيه غير مرة)[1].

* **وأما بالنسبة إلى التربية:** فإن الوجوب مخصوص بمن كان على دراية بأساليب التربية، وقدر على القيام بهذا الواجب، وعلى باقي الأمة أن يختاروا هذا الصنف من الناس، وأن يؤازروه ويساندوه بما يسد حاجاته، ويعينه على أداء مهمته، فهي إذن فرض عين على من تأهل له وصارت لديه القدرة على القيام به، وفرض كفاية على الأمة ككل، إذا قام به البعض سقط الإثم أو الحرج عن الباقين، وإذا قصَّرت

(١) انظر: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٤/ ٣٦، ٣٧).

أو فرَّطت فيه صارت آثمة، حتى ينهض منها من يقوم بهذا الواجب، أو بهذا الغرض، ويؤديه على وجهه الصحيح.

وإنما كان حكم التربية هكذا اقتداءً وتأسيًا برسول الله ﷺ، فإنه كان يجعل في كل طائفة من الناس من يقوم بمهمة التعليم والتربية، كمصعب بن عمير في المدينة، وكمعاذ في اليمن، وكمالك بن الحويرث في عشيرته، وكالشفاء بنت عبد الله الأنصارية مع جماعة النساء، وكأهل الصُّفة مع أولاد المسلمين.. وأيضًا لأن نجاح التربية يحتاج إلى تفرغ تام، ولو كانت عينًا على الأمة كلها، لتفرغت كلها لهذه الأمة، وبالتالي تتعطل باقي مصالحها فتصير ذيلًا وذنبًا لكل أمم الأرض، والمفروض أنها قائد وإمام للبشر أجمعين.

* * *
* *
*

الفَصْلُ السَّادِسُ

قواعد ومنطلقات الدعوة إلى اللّـه والتربية على الإسلام من وجهة نظر أهل السنة والجماعة

وللدعوة إلى اللَّه والتربية على الإسلام، من وجهة نظر أهل السنة والجماعة، قواعد ومنطلقات، ودونك طرفًا من هذه القواعد، وتلك المنطلقات:

١ - الحياة كلها دعوة إلى اللّـه، وتربية على الإسلام:

ذلك أن المسلم بمقدوره أن يتخذ من كل عمل يؤديه، ومن كل نشاط يقوم به، سبيلًا إلى دعوة الناس إلى اللَّه، وهدايتهم إلى صراطه المستقيم، فالطبيب، والمهندس، والفلكي، والجغرافي، والمؤرخ، والصيدلاني، والزارع، والتاجر، والصانع، وغيرهم وغيرهم.. يمكنهم بعملهم هذا أن يكونوا دعاة إلى اللَّه وهداة، إذا أتقن كل واحد مهنته ومهمته، ومارسها على أنها عمل يتقرب به إلى اللَّه أولًا، وينفع به أمته ونفسه ثانيًا، وأحسن معاملة الناس في نفس الوقت. ومنطلق هذه القاعدة أن كل واحد من الناس له عمله اليومي الذي يعيش منه، وينفع به أمته، والدعوة إلى اللَّه واجب على كل مسلم وجوب عين كما قدمنا.

ولا سبيل إلى أن يهضم المسلم هذه المعادلة وأن يستوعبها إلا إذا كانت الحياة كلها من أولها إلى آخرها دعوة إلى اللَّه، وهداية إلى صراطه المستقيم. وقد استوعب المسلمون الأوائل ذلك، فكانوا يدعون الناس إلى الإسلام من خلال عملهم اليومي؛ تجارة أو زراعة أو صناعة، حتى أسلم على أيديهم خلق كثير: في الصومال، في زيلع، في بربر، في صومع، في أريتريا، في الحبشة، في أندونيسيا وجنوب شرق آسيا، وفي جهات كثيرة من العالم؛ إذ قرر هؤلاء (أن الضعيف مأخوذ دائمًا بتقليد القوي واتباعه، ذلك أن القوة في ذاتها دعوة إلى اتباع فضائل من يتحلى بها؛ ولأن ضعف القلوب يقتبس من أسباب القوة عند الغالب)[1].

وعليه.. فإن كل مسلم بنبوغه في عمله، وتفوُّقه فيه إلى حد القوة إنما يكون داعية إلى غيره، ومؤثرًا فيه بأقرب وأيسر السبل، وكذلك ما هو معروف عن الإنسان من أنه إذا أحيط به لا يستطيع الفكاك أو الإفلات، ولا يتم ذلك إلا من خلال تحويل كل مناشط الحياة إلى أن تكون دعوة إلى اللَّه، وهداية إلى الخير، وقد فطنت الجاهلية المعاصرة إلى هذا المنطلق؛ فحاولت توظيف الحياة إلى الدعاية والإعلان والتربية على باطلها، فلا تكاد ترى أو تسمع أو تلمس أو تشم أو تتذوق شيئًا في هذه الحياة إلا وهو موظف لهذا الغرض.

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة (ص ٧).

وقد لفت المولى ﷻ النظر إلى هذا فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ...﴾ [سبأ: ٣٣].

٢ - رعاية الأولويات والمهمات:

وذلك بأن يركز المسلم في دعوته وهدايته للناس على الأَوْلَى والأهم، فيقدم الفرض على النفل، والعيني على الكفائي، والمجمع عليه على المختلف فيه، والأصل على الفرع، والكلي على الجزئي، وما ضرره أخفُّ على ما ضرره أكبر، وما علاجه باقتلاع الداء من أساسه على ما علاجه بالتسكين والمسح من الخارج أو الظاهر... وهكذا، بل أن يركز المسلم على ميدان دون ميدان، وعلى صنف من الناس دون صنف على الأقل في هذه المرحلة، ونعني بها مرحلة الاصطفاء والتأسيس، فمثلًا دعوة المسلم مقدمة على دعوة غير المسلم؛ إذ المطلوب اليوم هو الانتقال بالمسلمين من الواقع المرير الذي يعيشونه - وما فيه من قصور في فهم، أو فتور في عمل، أو غلو أو شطط أو نحو ذلك - إلى فهم الإسلام فهمًا دقيقًا سليمًا شاملًا نقيًّا، كما جاء به رسول الله ﷺ، ومتطلبات هذا الإسلام، ثم كيفية تحقيق هذه المتطلبات على النحو الذي يمكِّن للإسلام، ويضمن للمسلمين عز الدنيا وسعادة الآخرة.

ودعوة المقربين نسبًا وجيرة، مقدمة على دعوة الأباعد، نظرًا لكونهم معروفين عند الداعية، ولا يحتاج إلى جمع المعلومات عنهم، وهم كذلك يعرفونه، وربما عتبوا عليه إذا أهملهم وذهب إلى الأبعدين ثم هو مسئول عنهم بين يدي اللَّه ﷻ، فقد أخذ النبي ﷺ على قوم أنهم لا يفقِّهون جيرانهم ولا يعلِّمونهم، فتوعدهم بالعقوبة، وأمهلهم سنة للقيام بهذا التكليف، فقال: « **ما بال أقوام لا يفقِّهون جيرانهم، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتعظون، واللَّه ليعلِّمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم ويعظونهم، ويأمرونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة** »، وأعاد ذلك مرارًا حتى قال المعنيون بالخطاب: أمهلنا سنة، فأمهلهم ﷺ سنة ليفقِّهوهم ويعلموهم ويفطنوهم، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ... ﴾ [المائدة: ٧٨][1].

وأيضًا اقتداء وتأسيًا برسول اللَّه ﷺ؛ إذ عندما بدأ ﷺ

---

(١) الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب العلم: باب في تعليم من لا يعلم (١/ ١٦٤)، وعزاه إلى الطبراني قائلًا: (رواه الطبراني في الكبير وفيه بكير بن معروف قال البخاري: ارم به، ووثقه أحمد في رواية، وضعفه في أخرى، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به).

بالدعوة أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ودعوة الصغير مقدمة على دعوة الكبير، من حيث أن الصغير لم يصلب عوده على فكر أو سلوك معين، والتعامل معه أسهل من التعامل مع الكبير الذي اختار طريقه، وكثرت ارتباطاته ومسئولياته، وحقق مركزًا اجتماعيًا أو مكاسب دنيوية يخشى عليها، ثم إن الصغير الذي يُقبل على الدعوة يدخل مباشرة في الصياغة والتكوين، ولا يبذل الداعية معه وقتًا طويلًا في تخليته من الشوائب والعادات الجاهلية، وإنما ينصرف إلى تحليته وتعبئته بالفضائل والعادات الإسلامية، وصغير اليوم هو رجل الغد، والناشئة هم مستقبل الأمة.

ودعوة المتواضع مقدمة على دعوة المتكبر؛ لأن التواضع دليل على إمكان قبول الحق، والعمل به، بينما التكبر دليل على سفه الحق، وغمط الناس، على أن أتباع الأنبياء والمرسلين كانوا ما بين غني شاكر متواضع، وما بين فقير صابر ضعيف.

ودعوة المثقف مقدمة على دعوة الأمي، نظرًا للدور الذي يقوم به المثقف في المجتمع، أضف إلى ذلك أن المثقف أقدر من غيره على محاكمة الآراء، واختبار الأفكار، ومن يختار الفكرة عن وعي فإنه في الغالب يلتزم بها.

ودعوة غير المنتمي مقدمة على دعوة المنتمي؛ نظرًا لأن

غير المنتمي يقع في مركز وسط بين المذاهب والتجمعات، وأما المنتمي فقد انتقل من المركز إلى الطرف الآخر، والجهد المطلوب لنقله إلى مركز التأثر أضعاف الجهد المطلوب لغير المنتمي، مع مراعاة أن المنتمي إذا غير انتماءه عن قناعة وفكر، فإنه سيتحول إلى الدعوة والعمل لدين اللَّه، مع خبرة واسعة واستعدادات كبيرة، بيد أن هذا نادر وقليل.

ودعوة زميل العمل أو المهنة مقدمة على غيره؛ نظرًا لأن أفراد كل مهنة بينهم تعاون تلقائي ومباشر، ومجالات الحديث بينهم مهيأة، ونقاط الاشتراك كثيرة، فالطبيب مع الأطباء أقدر منه بين المهندسين، والمحامي مع المحامين أقدر منه بين المعلمين.

ودعوة ذوي التأثير والمنعة في قومه مقدمة على دعوة من لا أثر له ولا منعة؛ نظرًا لأن هذا يسهم في الإسراع في عملية التغيير، وقد يغير كثيرًا في المعادلة لصالح الدعوة، ثم هو اقتداء بالنبي ﷺ؛ إذ كان يدعو ويقول: « **اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب** »[1]، وهو كذلك محاكاة لأول داعية بالمدينة « مصعب بن عمير »؛ إذ لما أحسن دعوة « أسيد بن حضير »، و « سعد بن معاذ »

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب المناقب: باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ (٥/ ٦١٧) رقم (٣٦٨١) من حديث ابن عمر مرفوعًا به، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر).

وأسلما، أسلم بإسلامهما سائر دار بني عبد الأشهل.

وهكذا... فالداعية الحصيف يتخير لدعوته الموضوع الأهم والأولى، والمجال أو الميدان الأكثر عطاء، ومن هو أسرع استجابة وتأثيرًا، ومن يكون الجهد معه أقل، ومن يكون متناسبًا مع طبيعة المرحلة التي تعيشها دعوته.

ومنطلق هذه القاعدة أن الشر أو الفساد قد عمَّ وطمَّ، وهو آخذ في الازدياد والتوسع، فلا يتوقف أبدًا، ثم هو مجهز بكل أساليب ووسائل الدعاية والحماية في نفس الوقت، فضلًا عن أن القائمين بواجب الدعوة إلى اللَّه، وهداية الناس على بصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، لا زالوا قلة، ولا زالوا ضعفاء، وعليه فلو تمَّت المواجهة جملة أو دفعة واحدة كان العجز أو على الأقل التعطيل والتعويق، مع كثرة التكاليف، على أن لنا في صنيع رسول اللَّه ﷺ والمسلمين من بعده الأسوة والقدوة:

إذ لما بدأ ﷺ الدعوة إلى اللَّه، لم يعمد إلى الأصنام من حول الكعبة فيحطمها، وإنما عمد إلى الأصنام الرابضة على القلوب أولًا، حتى إذا حطمها قام أصحاب هذه القلوب بدورهم في تحطيم الأصنام التي في الكعبة، بل في الجزيرة، وفي خارج الجزيرة، ولو أنه بدأ بتحطيم الأصنام من حول الكعبة لصنعت من الذهب والزبرجد لا من الخشب والحجارة، ولأعيدت كما كانت من جديد، فضلًا

عن تكبر الجاهلية واشتدادها في الحرب، فتطول الطريق وتكثر التكاليف[١].

ولما آذى عبد اللَّه بن أبي بن سلول النبي ﷺ والمسلمين، ولا سيما في غزوة بني المصطلق، أشار عمر بن الخطاب على النبي ﷺ فقال: مر عباد بن بشر فليقتله، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه...** »[٢].

فهنا وازن النبي ﷺ بين الضرر الواقع عليه وعلى أصحابه من وراء إيذاء ابن سلول، والضرر الذي يمكن أن ينجم من وراء قتله، وهو خوف الناس من الدخول في الإسلام بزعمهم أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه، فاختار الأول على الثاني، ارتكابًا لأخفِّ الضررين.

قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على حديث زيد بن أرقم الذي كان سببًا في نزول سورة المنافقون: (وفي الحديث من الفوائد: ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتبتهم، وقبول أعذارهم، وتصديق

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٩٣، ٩٤) بتصرف.

(٢) الحديث أورده ابن كثير في السيرة النبوية: غزوة بني المصطلق من خزاعة (٣/ ٢٩٩) وعزاه إلى ابن إسحاق، وأورده البخاري في الصحيح: كتاب التفسير: سورة المنافقون: باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... ﴾ [المنافقون: ٦] من حديث جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما -، وفيه: أن عمر قال: يا رسول اللَّه، دعني أضرب عنق هذا المنافق.

إيمانهم، وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما في ذلك من التأنيس والتأليف)[1].

ولما جددت قريش بناء الكعبة، حادت بها عن منهج إبراهيم عليه السلام، وهمَّ النبي ﷺ أن ينقضها، وأن يعيد بناءها على منهج إبراهيم، لكنه خشي إنكار القلوب والفتنة، لا سيما والناس حديثو عهد بجاهلية أو بكفر، حينئذ آثر ترك الكعبة على النحو الذي فعلت قريش، رعاية للأهم فالمهم، واحتمالًا لأخف الضررين. وإذا تمكن الإسلام من القلوب، فإن التغيير سهل وميسور، وهذا الذي فعله ابن الزبير حين صار له السلطان على الحجاز.

جاء في حديث يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة - رضي اللَّه تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال لها: « **يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت البيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، فبلغت به أساس إبراهيم** » فذلك الذي حمل ابن الزبير - رضي اللَّه تعالى عنهما - على هدمه، قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه، وبناه، وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل، قال جرير: فقلت له: أين موضعه؟ قال: أُريكه الآن، فدخلت معه الحجر فأشار

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٤٦).

إلى مكان، فقال: ههنا، قال جرير: فحرزت من الحجر ستة أذرع أو نحوها[1].

قال الحافظ ابن حجر تعليقًا على الحديث:

(وفي حديث بناء الكعبة من الفوائد... ما ترجم عليه المصنف في العلم، وهو « ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر عنه فهم بعض الناس »، والمراد بالاختيار في عبارته - أي البخاري - المستحب، وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره، وما يخشى منه تولد الضرر في دين أو دنيا، وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب، وفيه تقديم الأهم فالمهم، من دفع المفسدة، وجلب المصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة، وأن المفسدة إذا

---

(١) الحديث بهذا الإسناد وبهذا اللفظ أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الحج: باب فضل مكة وبنيانها (٢/ ١٨٠)، وبنحوه من طرق أخرى عن عائشة في كتاب العلم: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه (١/ ٤٣، ٤٤)، وكتاب الأنبياء: باب منه (٤/ ١٧٧، ١٧٨)، وكتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] (٦/ ٢٤، ٢٥) وكذا مسلم في الصحيح: كتاب الحج: باب نقض الكعبة وبنائها، وباب جدر الكعبة وبابها (٢/ ٩٦٨ - ٩٧٣) رقم (٣٩٨ - ٤٠٦)، والنسائي في السنن: كتاب مناسك الحج: باب بناء الكعبة (٥/ ٢١٤ - ٢١٦)، وكذا بإسناده وبلفظه، والدارمي في السنن كتاب المناسك: باب الحجر من البيت (٢/ ٥٣، ٥٤)، ومالك في الموطأ: كتاب الحج: باب ما جاء في بناء الكعبة (ص ٢٥٠، ٢٥١)، رقم (٨١٠)، وأحمد في المسند (٦/ ٥٧، ١١٣، ١٧٧، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٢).

أمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة)[1].

٣ - **المرحلية والتدرج:**

وذلك بأن يركز المسلم في دعوته إلى اللَّه، وهدايته الناس إلى صراط اللَّه المستقيم، على المرحلية والتدرج إن اقتضى الأمر ذلك، على معنى أن يقسم الطريق لطولها إلى مراحل، وأن يتدرج في الأمر من السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، ومن الهدف القريب إلى الهدف البعيد، ومن الخطة الجزئية إلى الخطة الكلية... وهكذا.

ومنطلق هذه القاعدة، أن الطريق طويلة لا سيما في هذا العصر الذي تنمرت فيه الجاهلية، وأخذت أهبتها واستعدادها، كما أن الشر والفساد صار ضارب الجذور في أعماق الأمة، وعليه فلو قطعت الطريق في نَفس واحدة، مع ثقل الحمل، وضخامة التبعة، لكان الانقطاع وبالتالي القعود أو على الأقل الفتور والتواني، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى ردة فعل أشد وأعنف.

ومنطلقها كذلك هَدْي الإسلام في دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، حيث حرّم الربا على أربع مراحل، ولم يُحَرِّمه دفعة واحدة، وكذلك الحال بالنسبة للخمر لم تُحرم جملة واحدة، وإنما على أربع مراحل.

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ٤٤٨).

وحيث بدأت الدعوة بمرحلة الاصطفاء والتأسيس، ثم مرحلة الانفتاح، ثم مرحلة المواجهة والمقارعة، ثم مرحلة النصر والتمكين، وما كان يمكن أن تبدأ هذه جميعًا في وقت واحد وإلا كانت المشقة والعجز، وما كان يمكن كذلك أن تقدم واحدة منها على الأخرى وإلا لحاق الخلل والإرباك.

وقد وعى هذا السلف - رضي اللَّه تعالى عنهم -، فهذا عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول له ابنه عبد الملك: « ما لك لا تنفذ الأمور؟ فواللَّه ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق » فيرد عليه قائلًا: « لا تعجل يا بني فإن اللَّه ذمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيَدَعوه جملة، ويكون من ذا فتنة »[1].

وهذا الناصر صلاح الدين الأيوبي يبدأ جهاده لتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين بالتربية، والوحدة بين مصر والشام، وبناء الجيش، ويطيل النَّفَس في هذا حتى إذا تمَّ له ذلك كان النصر، وكانت عودة بيت المقدس إلى حوزة المسلمين.

٤ - الرفق في الدعوة والتربية:

وذلك بأن يكون الرفق في الدعوة والتربية هما مفتاح

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ٩٣، ٩٤)، وعنه نقل الدكتور يوسف القرضاوي في الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (ص ١٠٥، ١٠٦).

المسلم في الدخول إلى عقول وقلوب الناس، ومنطلق هذه القاعدة أن الناس ينفرون غالبًا بطبائعهم من الفظاظة والخشونة والعنف، ويألفون الرقة والدماثة واللين، كما أن منطلقها كذلك كتاب اللَّه ﷻ، وسنة وسيرة نبينا محمد ﷺ، وهدي السلف الصالح - رضوان اللَّه عليهم أجمعين -، فهذا الحق سبحانه يقص علينا في كتابه العزيز، ما زود به موسى وهارون - عليهما السلام - في إنذار فرعون فيقول: ﴿ اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] ثم يشرح هذا القول اللين فيقول: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٩] ويشرح لنا كذلك في إجمال سبب نجاحه ﷺ في دعوته فيقول: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ... ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذا رسول اللَّه ﷺ يرى أعرابيًّا يبول في المسجد، ويرى الناس يتميزون غيظًا من أجل الإيقاع به، فيقول: « **دعوه، وهريقوا على بوله سَجْلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين** »[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الوضوء: باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد، باب صب الماء على البول في المسجد، باب يهريق الماء على البول (١/ ٦٥) من حديث =

وحين بعث معاذًا، وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما: « **يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا...** » الحديث[1]، وهذا صلة بن أشيم التابعي المشهور، يمر به وبأصحابه فتى يجر ثوبه ويهم أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم أخذًا شديدًا، فيسيئه ذلك، ويريهم درسًا عمليًّا لفن الإنكار، فيقول لهم: « دعوني أكفكم أمره »، ثم يقول له: « يا ابن أخي

=أنس بن مالك، وأبي هريرة، وكتاب الأدب: باب قول النبي ﷺ: « يسروا ولا تعسروا » (٨/ ٣٧) من حديث أبي هريرة، وأبو داود في السنن: كتاب الطهارة: باب الأرض يصيبها البول (١/ ١٠٣) رقم (٣٨٠) من حديث أبي هريرة والترمذي في السنن: كتاب الطهارة: باب ما جاء في البول يصيب الأرض (١/ ٢٧٥ - ٢٧٧) رقم (١٤٧، ١٤٨) من حديث أبي هريرة وأنس وقال عقيبه: (وهذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في السنن: كتاب الطهارة وسننها: باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل (١/ ١٧٥، ١٧٦) رقم (٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠) من حديث أنس وأبي هريرة، وواثلة بن الأسقع، وعقب البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١/ ٧٧) بقوله: (وإسناد حديث واثلة بن الأسقع فيه عبد الله الهذلي، قال الحاكم: يروي عن أبي المليح عجائب، وقال البخاري: منكر الحديث)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٩، ٢٨٢، ٥٠٣) من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب المغازي: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٥/ ٢٠٥)، وكتاب الأدب: باب قول النبي ﷺ: « يسروا ولا تعسروا » (٨/ ٣٦)، وكتاب الأحكام: باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا، ولا يتعاصيا (٩/ ٨٧، ٨٨)، وكتاب الأشربة: باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام (٣/ ١٥٨٦، ١٥٨٧) رقم (٧١)، والدارمي في السنن: المقدمة: باب الاقتداء بالعلماء (١/ ٧٣).

إن لي إليك حاجة » قال: ما هي؟، قال: « أحب أن ترفع إزارك »، قال: نعم، ونعمى - تعني: أن أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك - ورفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: « هذا كان أمثل مما أردتم، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم »[١].

وهذا أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي يدعو إلى الإسرار بالنصيحة كمظهر من مظاهر الرفق، طالما أن الخطأ كان في السر، ولم يكن مصحوبًا بالمجاهرة، فيقول:

تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي
فلا تجزع إذا لم تعط طاعة[٢]

وهذا الشيخ علاء الدين الجمالي، مفتي السلطان سليم تاسع ملوك آل عثمان، يستأذن بالدخول على السلطان سليم في بلاطه، فيدخل ويسلِّم عليه ويجلس، والسلطان ينظر إليه

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص ١٣٧)، وعنه نقل الشيخ عبد الحميد البلالي في فقه الدعوة في إنكار المنكر (ص ١٢٧، ١٢٨).
(٢) انظر: آداب الشافعي ومناقبه للرازي (ص ١١٦)، وعنه نقل البلالي في فقه الدعوة في إنكار المنكر (ص ١١٦، ١١٧).

وقد بدت بوادر الغضب على محيَّاه، ويسكت محنقًا يرقب ما يأتي به الشيخ الذي دخل عليه بلا دعوة، وجلس أمامه بلا إذن، وكان السلطان سليم لا يعرف لغة غير لغة الدماء، ولا يتردد بالإشارة لقتل كل من يعارضه في أي أمر من الأمور، حسبه أنه خنق إخوته لما خشي أن يزاحموه على الملك، وقتل سبعة عشر من أهل بيته، وسبعة من وزرائه، ورد عليه الصدر الأعظم يونس باشا (رئيس وزرائه) كلمة، كان الحق فيها مع الوزير، فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه قبل أن يتم جملته، ودفن في موضع مصرعه، في خان يونس بالقرب من غزة، ولما ترك للشراكسة في مصر أوقافهم، قال له رئيس وزرائه (بري باشا): يا مولانا، فَنِي مالنا وعساكرنا في حربهم وتبقي لهم أوقافهم يستعينون بها علينا؟ وكانت رجل السلطان في الركاب، فأشار إلى الجلاد فقطع عنق الوزير، فصار رأسه على الأرض قبل أن يصير السلطان على ظهر الفرس... فقال له الشيخ علاء الدين: وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان، وقد أمرت بقتل مائة وخمسين من العمال لا يجوز قتلهم شرعًا، فعليك بالعفو عنهم، فطار الغضب بعقل السطان من هذه الجرأة عليه، ولم يعد يبصر من أمامه، ثم ضبط نفسه، وأراد ردعه من غير قتله، وقال له: إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك، وأعرض عنه، وارتقب أن يكف الشيخ وينصرف،

ولكن الشيخ قال له: بل أتعرض لأمر آخرتك، وإنه من وظيفتي، ومهما عشت فإنك ميت، ومعروض على اللَّه، وواقف بين يديه للحساب، فإن عفوت فلك النجاة، وإلا فإن أمامك جهنم لا يعصمك منها ملكك، ولا ينجيك سلطانك. وبهذه الكلمات: ألان اللَّه قلب السلطان، وارتعدت فرائصه، وخاف على نفسه، وأصدر أمره بالعفو عن العمال[1].

٥ - البدء بتصحيح المفاهيم وتعميق الوعي بالواقع:

وذلك بأن يعرف الإنسان عمومًا، والمسلم على وجه الخصوص دوره ورسالته على ظهر هذه الأرض، كما يعرف الإنسان حقيقة نفسه، وبدايته، ونهايته، ومصيره، وصلته بربه وبالكون الذي يعيش فيه، ويعي المسلم حقيقة الواقع الذي يحياه، وأثر هذا الواقع عليه، وعلى باقي المسلمين، بل وعلى البشرية كلها، وسبيل التعامل مع هذا الواقع.. كل هذا من خلال خبر السماء، ومما نطق به المعصوم محمد ﷺ ومن النظر الدقيق، والتأمل الصادق.

ومنطلق هذه القاعدة أن حركة الإنسان إنما تنبع مما لديه من تصور، فإن كان التصور صحيحًا، كانت الحركة صحيحة، وإن كان التصور فاسدًا أو مختلًّا كانت الحركة كذلك فاسدة

---

(١) انظر: رجال من التاريخ، بتصرف (ص ٢١٥ - ٢١٧)، وعنه نقل الشيخ عبد الحميد البلالي في فقه الدعوة في إنكار المنكر (ص ١٨٣ - ١٨٥).

أو مختلة، كما أن منطلق هذه القاعدة كتاب اللَّه ﷻ، وسنة وسيرة نبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام؛ إذ كان من أوائل ما نزل من آي القرآن الكريم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥]، ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١]، ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١ - ٤]، ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ [محمد: ١٩].

وكان من هديه ﷺ أنه لا يؤاخذ أحدًا من الناس إلا بعد دعوته، وعرض الإسلام عليه، والرد على كل ما لديه من أسئلة واستفسارات، وكان يوصي أمراء السرايا والقواد بذلك.

وما كتبه ﷺ للملوك، والأمراء ورؤساء القبائل المجاورين يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، أو تلزمهم الحجة، إلا شاهد صدق على ما يقول، بل إن فهمه ﷺ للواقع الذي نشأ وبعث فيه، هو الذي مكَّنه من قطع الطريق على كثيرين حتى كان يسقط في أيديهم، فلا يسعهم إلا أن يسلموا وأن ينقادوا للمنهج الذي جاء به، أو أن ينزاحوا من طريق الناس، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة.

عن عدي بن حاتم، قال: لما بلغني خروج رسول اللَّه ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية

الروم - وفي رواية: حتى قدمت على قيصر - قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه، قال: قلت: واللَّه لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبًا لم يضرني، وإن كان صادقًا علمت، قال: فقدمت فأتيته، فلما قدمت قال الناس: عدي ابن حاتم، فدخلت على رسول اللَّه ﷺ فقال لي: « **يا عدي ابن حاتم، أسلم تسلم** » ثلاثًا، قال: قلت: إني على دين، قال: « **أنا أعلم بدينك منك** » فقلت: أنت تعلم بديني مني؟ قال: « **نعم ألست من الرّكوسية؟**[1]، **وأنت تأكل مرباع قومك؟** »[2]، قلت: بلى، قال: « **هذا لا يحل لك في دينك** » قال: نعم، فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، قال: « **أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة لهم وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟** »[3] قلت: لم أرها وقد سمعت بها، قال: « **فوالذي نفسي بيده ليتمَّنَّ اللَّه هذا الأمر حتى تخرج الظعينة**[4] **من الحيرة حتى تطوف بالبيت في**

---

(١) الركوسية: دين بين النصارى والصابئين، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٠٠).

(٢) المرباع: هو ربع الغنيمة؛ إذ أن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه، ويسمى ذلك الربع: المرباع، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦٠).

(٣) الحيرة بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف، انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للبكري (١/ ٤٤١).

(٤) الظعينة في الأصل: الراحلة التي يرحل ويظعن عليها أي يسار، وقيل=

غير جوار أحد، وليفتحن اللَّه كنوز كسرى بن هرمز » قال: قلت: كنوز ابن هرمز؟ قال: « نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد » قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تأتي من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة[1]؛ لأن رسول اللَّه ﷺ قد قالها[2].

ولعل مما يشهد لذلك ما للفهم الصحيح والوعي بالواقع من دور كبير في الحماية من الانحراف أو الزلل هذا الخبر.

قال حاطب بن أبي بلتعة: بعثني رسول اللَّه ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فجئته بكتاب رسول اللَّه ﷺ، فأنزلني في منزله وأقمت عنده، ثم بعث إليَّ وقد جمع بطارقته، وقال: إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني، قال: قلت: هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟، قلت: بل هو رسول اللَّه، قال: فما له حيث كان هكذا

= للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت: المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج ظعينة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٤، ٥٥).

(١) يعني بها بذل المال حتى لا يقبله أحد، وهذا كناية عن الغنى واليسار.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٥٧، ٣٧٨، ٣٧٩) من حديث عدي بن حاتم بهذا اللفظ وبنحوه، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٦٦) وعزاه إلى أحمد في المسند، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة (١/ ٥٠).

لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال: فقلت: عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول اللَّه؟ قال: بلى، قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم اللَّه حيث رفعه إلى السماء الدنيا؟ فقال لي: حكيم قد جاء من عند حكيم، هذه هداياي أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك من يبلغك مأمنك[1].

٦ - الشمول والتكامل في الفهم والسلوك مع التوازن:

وذلك بأن تكون النظرة الشمولية للإنسان وللإسلام وللكون المحيط - هي أساس الفهم أو التصور، فالنظرة الشمولية للإنسان أنه مادة ومعنى ، أو بدن وعقل وقلب، والنظرة الشمولية للإسلام أنه عقيدة وأخلاق، وعبادة ونظم وتشريعات، وأنه عام للعالمين إلى قيام الساعة، وأنه دين الحياتين: الدنيا والآخرة، والنظرة الشمولية للكون أنه مخلوق لمصلحة الإنسان، وأنه محكوم بطائفة من السنن أو النواميس، مَنْ حاول الاصطدام معها غلبته، ومن حاول الاحتيال عليها، ومغالبتها، غلبها، وأن الإنسان والإسلام والكون، كلها جميعًا من صنع الخالق، وبالتالي فلا تعارض بينها ولا تضاد، ما بقي الإنسان محافظًا على فطرته وسلامة

---

(١) الخبر أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٢٧٢)، وعزاه إلى البيهقي، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة....

عقله، فإن فرط في ذلك كان التعارض والتضاد، وأن كل الجوانب المتقدمة في الإنسان أو في الإسلام أو في الكون يكمل بعضها بعضًا، والإغضاء عن جانب منها أو أكثر يؤدي إلى نتائج غير نافعة وغير مجدية.

وأنه لا بد مع هذه النظرة الشمولية والتكاملية من التوازن؛ بحيث لا يطغى جانب على آخر، وإلا كان الخلل.. ومنطلق هذه القاعدة أن النظرة القاصرة أو الجزئية يمكن أن تؤدي إلى الانقطاع والقعود، وكذلك عدم التوازن يمكن أن يؤدي إلى الخلل والانفصام أو العوج. كما أن منطلق هذه القاعدة منهجه ﷺ في الدعوة والتربية؛ إذ قام كل واحد منهما على أساس من الشمول والتكامل في الفهم والسلوك مع التوازن، فهو ﷺ يهتم بالعقل والقلب والبدن، ولكن مع اليقظة التامة والانتباه الشديد ألا يطغى جانب على جانب، أو يبرز جانب على حساب جانب.

وبرز هذا بوضوح في حديث الثلاثة الرهط الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ في السر، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. وعلم النبي ﷺ بذلك فجاء إليهم وقال: **« أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله**

إني لأخشاكم للَّه، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[(١)].

وفي حديث عائشة - رضي اللَّه تعالى عنها - حين دخل عليها النبي ﷺ وعندها امرأة، فقال: « **من هذه؟** » قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها، قال: « **مه.. عليكم بما تطيقون، فواللَّه لا يمل اللَّه حتى تملوا، وإنَّ أحب الدين ما داوم صاحبه عليه** »[(٢)]، « **أكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن اللَّه لا يمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى اللَّه أدومه وإن قل** »[(٣)].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح (٧/ ٢) ومسلم في الصحيح: كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه (٢/ ١٠٢٠) رقم (٥)، (١٤٠١) والنسائي في السنن: كتاب النكاح: باب النهي عن التبتل (٦/ ٦٠) وأحمد في المسند (٣/ ٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥) كلهم من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، واللفظ للبخاري، وأخرج نحوه من حديث عائشة في تبتل عثمان بن مظعون ونهي النبي له، وأبو داود في الصحيح: كتاب الصلاة: باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة (٢/ ٤٨) رقم (١٣٦٩)، ومن حديث سعد بن أبي وقاص، والدارمي في السنن: كتاب النكاح: باب النهي عن التبتل (٢/ ١٧٣).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان: باب أحب الدين إلى اللَّه أدومه (١/ ١٣)، وكتاب التهجد: باب ما يكره من التشديد في العبادة (٢/ ٦٧، ٦٨)، والنسائي في السنن: كتاب قيام الليل: باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (٣/ ٢١٨)، وكتاب الإيمان: باب أحب الدين إلى اللَّه ﷻ (٨/ ١٢٣)، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب المداومة على العمل (٢/ ١٤١٦) رقم (٤٢٣٨)، وأحمد في المسند (٦/ ٥١) كلهم من حديث عائشة مرفوعًا به.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الرقاق: باب القصد=

وفي حديث ابن عباس - رضي اللَّه تعالى عنهما - قال: كانت مولاة للنبي ﷺ تصوم النهار وتقوم الليل، فقيل له: إنها تصوم النهار وتقوم الليل، فقال: « **إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل** »[1].

وفي حديث أبي جحيفة وهب بن عبد اللَّه ﷺ قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة (يعني: لابسة ثياب المهنة وتاركة ثياب الزينة) فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال

=والمداومة على العمل (٨/ ١٢٢)، وأبو داود في السنن: كتاب الصلاة: باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة (٢/ ٤٨) رقم (١٣٦٨)، والنسائي في السنن: كتاب القبلة: باب المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة (٢/ ٦٨، ٦٩)، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب المداومة على العمل (٢/ ١٤١٧) رقم (٤٢٤٠)، ومالك في الموطأ (بلاغًا): كتاب الصلاة: باب ما جاء في صلاة الليل (ص ٨٧) رقم (٢٥٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٣١، ٢٥٧، ٣٥٠، ٤١٨، ٦/ ٤٠، ٦١، ١٧٦، ١٨٠، ١٨١، ٢٤١، ٢٦٧، ٢٦٨) كلهم من حديث عائشة مرفوعًا إلا ابن ماجه فإنه عنده من حديث أبي هريرة، وفي إسناده ابن لهيعة وحاله معروفة، وكذلك عند أحمد في بعض رواياته، واللفظ لأبي داود.

(١) الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الصلاة: باب الاقتصاد في العمل، والدوام عليه (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا بهذا اللفظ، وعزاه إلى البزار، قائلًا: (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح).

له: كُلْ، فإني صائم، فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعًا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال النبي ﷺ: « **صدق سلمان** »[1].

وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص؛ إذ كان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يقضي حق أهله، فقال له النبي ﷺ: « **ألم أُخْبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟** » قلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: « **فلا تفعل! صم وأفطر ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لزورك عليك حقًّا، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر** »[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الصوم: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (٣/ ٤٩، ٥٠)، وكتاب الأدب: باب صنع الطعام والتكلف للضيف (٨/ ٤٠)، والترمذي في السنن: كتاب الزهد: باب منه (٤/ ٦٠٨، ٦٠٩) رقم (٢٤١٣)، كلهم من حديث أبي جحيفة عن سلمان مرفوعًا به، وعقب الترمذي على حديثه قائلًا: (هذا حديث صحيح).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الصوم: باب حق الجسم في الصوم، باب حق الأهل في الصوم (٣/ ٥١، ٥٢)، ومسلم في الصحيح:=

وفي حديث ابن عباس - رضي اللَّه تعالى عنهما - قال: بينما النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال ﷺ: « **مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه** »[1].

وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنهما - قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: « **يا عبد اللَّه، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل** »[2].

= كتاب الصيام: باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًّا... (٢/ ٨١٣ - ٨١٨) رقم (١٨٢، ١٨٣، ١٩٣)، والنسائي في السنن: كتاب الصوم: باب صوم يوم وإفطار يوم (٤/ ٢١٠، ٢١١) وباب صوم عشرة أيام من الشهر (٤/ ٢١٥) كلهم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الأيمان والنذور: باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٨/ ١٧٨)، وأبو داود في السنن: كتاب الأيمان والنذور (٣/ ٢٣٥) رقم (٣٣٠٠)، وابن ماجه في السنن: كتاب الكفارات: باب من خلط في نذره طاعة بمعصية (١/ ٩٩٠) رقم (٢١٣٦)، ومالك في الموطأ: كتاب النذور والأيمان: باب ما لا يجوز من النذور في معصية اللَّه (ص ٣١٧) رقم (١٠٢٢)، وأحمد في المسند (٤/ ١٦٨)، كلهم من حديث ابن عباس - رضي اللَّه تعالى عنه - مرفوعًا، إلا مالكًا فإنه عنده من حديث حميد بن قيس، وثور بن زيد الديلي، وإلا أحمد فإنه عنده من حديث أبي إسرائيل.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب التهجد: باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن يقومه (٢/ ٦٨)، ومسلم في الصحيح: كتاب الصيام: =

وهكذا.. ربَّى رسول اللَّه ﷺ أصحابه على إعطاء كل من الروح والعقل والبدن حقه، ولكن بالتساوي مع الآخرين، فحفظ بذلك شخصيتهم من الخلل أو العوج.

٧ - عدم الخوض فيما لا ترجى من ورائه فائدة:

وذلك بأن يكون التركيز على ما ينبني عليه عمل، وفيما ترجى من ورائه مصلحة أو منفعة، أما عدا ذلك فلا داعي للخوض فيه، كتلك التفريعات للأحكام التي لم تقع، وكالبحث في معاني الآيات القرآنية التي لم يصل إليها العلم بعد، وكالكلام في المتشابه دون رده إلى المحكم، والسؤالات المتعلقة بالغيب الذي لا يعلمه إلا اللَّه، وكتقديم العقيدة للناس من خلال الشبهات التي لم تُطرق بعد، ولم تخطر على البال، أو كتقديمها على أنها مجرد بحوث كلامية فلسفية لا صلة لها بتمكين الإيمان وتثبيته في القلوب.

يقول الإمام الشاطبي - رحمه اللَّه -: (كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على

= باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، أو فوت به حقًّا (٢/ ٨١٤) رقم (١٨٥)، والنسائي في السنن: كتاب قيام الليل وتطوع النهار: باب ذم من ترك قيام الليل (٣/ ٢٥٣)، وابن ماجه في السنن: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في قيام الليل (١/ ٤٢٢) رقم (١٣٣١)، وأحمد في المسند (٢/ ١٧٠) كلهم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه تعالى عنهم - مرفوعًا به.

استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعًا)[1].

ومنطلق هذه القاعدة كتاب اللَّه ﷻ وسنة النبي ﷺ وعمل السلف الصالح:

أما الكتاب: فآيات كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ... ﴾ [البقرة: ١٨٩]؛ حيث جاء الجواب بما يتعلق به العمل، مع الإعراض التام عما قصده السائل من السؤال عن الهلال من كونه يبدو في أول الشهر دقيقًا كالخيط، ثم يمتلئ حتى يصير بدرًا، ثم يعود إلى حالته الأولى.

- وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٤]؛ حيث لفت النظر إلى أن هذا السؤال سؤال عما لا يعني ولا يفيد، ويكفي من علمها أن يوقن الإنسان أنه لا بد منها، وأنها واقعة لا محالة، وأن يتخذ من العمل الصالح طريقًا للنجاة من أهوالها وشدائدها.

وأما السنة: فأحاديث - كثيرة - كذلك منها:

- أن رجلًا سأل النبي ﷺ متى الساعة؟ فقال له النبي ﷺ: « **وما أعددت لها؟** » فكأن الرجل استكان، ثم قال:

---

(١) انظر: الموافقات (١/ ٤٦).

يا رسول اللَّه، ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكني أحب اللَّه ورسوله قال: « **أنت مع من أحببت** »[1].

- ومنها: أن ناسًا سألوا رسول اللَّه ﷺ حتى أحفوه في المسألة، فخرج عليهم ذات يوم، فصعد المنبر، فقال: « **لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم** » فأشفق أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر، يقول راوي الحديث: فجعلت لا ألتفت يمينًا ولا شمالًا إلا وجدت كلًّا لافًّا رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان يلاحى، فيدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي اللَّه من أبي؟ فقال: « **أبوك حذافة** »، قال: ثم قام عمر، أو قال: فأنشأ عمر فقال: رضينا باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، عائذًا باللَّه، أو قال: أعوذ باللَّه من شر الفتن، قال: وقال رسول اللَّه ﷺ: « **لم أر في**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ (٥/ ١٤، ١٥)، وكتاب الأدب: باب ما جاء في قول الرجل: ويلك، وباب علامة حب اللَّه ﷻ (٨/ ٤٨، ٤٩)، وكتاب الأحكام: باب القضاء والفتيا في الطريق (٩/ ٨٠، ٨١)، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب المرء مع من أحب (٤/ ٢٠٣٢، ٢٠٣٣) رقم (١٦١، ١٦٤)، والترمذي في السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء أن المرء مع من أحب (٤/ ٥٩٥) رقم (٢٣٨٥) وأحمد في المسند (٣/ ١٠٤، ١١٠، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨)، كلهم من حديث أنس بن مالك - رضي اللَّه تعالى عنه - مرفوعًا به وبنحوه، وقد عقب الترمذي على حديثه قائلًا: (هذا حديث صحيح).

الخير والشر كاليوم قط، صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط »[1].

زاد في رواية أخرى: أن أم عبد اللَّه بن حذافة قالت: ما رأيت ولدًا أعق منك قط، أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رءوس الناس؟ فقال: واللَّه لو ألحقني بعبد أسود للحقته[2].

وأما عمل السلف الصالح: فكثير أيضًا، نذكر منه:

- خبر عمر بن الخطاب مع صبيغ بن عسل، إذ جعل يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب العلم: باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكرهه (١/ ٣٤)، وكتاب التفسير: سورة المائدة: باب لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم (٦/ ٦٨)، وكتاب الدعوات: باب التعوذ من الفتن (٨/ ٩٦)، وكتاب الفتن: باب التعوذ من الفتن (٩/ ٦٦، ٦٧)، ومسلم في الصحيح: كتاب الفضائل: باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه (٤/ ١٨٣٢ - ١٨٣٥) رقم (١٣٤، ١٣٨)، وأحمد في المسند (٣/ ١٧٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٥٤) كلهم من حديث أنس بن مالك - رضي اللَّه تعالى عنه - مرفوعًا.

(٢) الحديث أورده مسلم في: الصحيح: كتاب الفضائل: باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه (٤/ ١٨٣٢، ١٨٣٣) رقم (١٣٦)، من حديث ابن شهاب قال: أخبرني عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة قال: قالت أم عبد اللَّه ابن حذافة لعبد اللَّه بن حذافة: ما سمعت بابن قط أعق منك... الحديث، وأورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠٤، ١٠٥)، وابن حجر في فتح الباري (٨/ ٢٨١، ٢٨٢)، وعزواه إلى ابن أبي حاتم في التفسير.

الرسول بالكتاب فقرأه، قال: أين الرجل؟ أُبصر ألا يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الوجيعة، فأتي به، فقال عمر: سبيل محدثة - يعني بدعة جديدة - فأرسل إلى رطائب من جريدة فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة - أي قرحة - ثم تركه حتى برئ ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد واللَّه برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين.

قال أبو عثمان النهدي: فلو جاءنا ونحن مائة لتفرقنا عنه، وقال زرعة: رأيت صبيغًا كأنه بعير أجرب يجيء إلى حلقة ويجلس، وهم لا يعرفونه فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين، فيقومون ويدعونه، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسن أمره، فكتب إليه عمر أن ائذن للناس بمجالسته[1].

- وخبر عائشة - رضي اللَّه عنها - أن امرأة سألتها: لِمَ تقضي الحائض الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فأنكرت عليها قائلة: « أحرورية أنت؟ »[2].

---

(١) انظر: أخبار عمر للطنطاويين (ص ١٩٠، ١٩١)، نقلًا عن تهذيب تاريخ دمشق، هذا وقد أورد الشاطبي القصة باختصار في: الموافقات (١/ ٤٩، ٥٠)، (٤/ ١٩١).

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٤/ ١٩١، ٢٩٠).

- وخبر مالك بن أنس، أن عراقيًّا سأله عن رجل وطئ دجاجة ميتة، فخرجت منها بيضة فأفقست البيضة عنده عن فرخ، أيأكله؟، فقال له مالك: « سل عما يكون، ودع ما لا يكون »[1]، وسأله آخر عن نحو هذا فلم يجبه، فقال له: لم لا تجيبني يا أبا عبد اللَّه؟ فقال: « لو سألت عما تنتفع به أجبتك »[2].

- وقرأت أن رجلًا دخل على أحد الخلفاء ليعرض أمامه مهنة زعم أنه تفرد بها والنبوغ فيها، فأذن له الخليفة، فألقى إبرة على الأرض، وجاء بثانية فألقاها فوقعت في عين الأولى، ثم ثالثة وألقاها فوقعت في عين الثانية... وهكذا حتى صار جبلًا من الإبر كل واحدة في عين التي قبل، فأمر الخليفة بعشرة دراهم مكافأة على هذا النبوغ، في الوقت الذي أمر بضربه عشرة أسواط لاشتغاله بعلم لا فائدة ترجى من ورائه حتى ضيع وقته، وأهدر عمره.

ومنطلق هذه القاعدة كذلك الواقع، إذا ينطق هذا الواقع بأن الخوض فيما يفيد وفيما لا يفيد، يعد مشغلة وملهاة، قد تضيع ما يفيد، فضلًا عما يرثه ذلك من إيغار الصدور، وتسويد القلوب، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى التشاحن والتدابر والتقاطع والفرقة، وذلك ما نهينا عنه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(١، ٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٤/ ١٩١، ٢٩٠).

﴿ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٨ - الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

وذلك بأن يكون التركيز في تقديم الدعوة، وتحقيق التربية على الأصالة، يعني الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية مع المعاصرة، يعني مع الإفادة مما ابتكرته المدنية الحديثة في كل مناحي الحياة، إنْ في الإعلام، وإنْ في التخطيط والإدارة، وإنْ في السياسة، وإنْ في الاقتصاد، وإنْ في التربية والتعليم، وإنْ في الصناعة، وإنْ في القوة العسكرية.. وهكذا، بشرط ألا يتعارض ذلك مع القيم والمبادئ الإسلامية، فقد أفاد النبي الكريم ﷺ من فكرة سلمان الفارسي في عمل الخندق، ولم يكن للعرب عهد به من قبل، وإنما هو من عمل الفرس. ذكر أصحاب السير، منهم أبو معشر، قال: (قال سلمان للنبي ﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبًا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم)[1].

كما أفاد ﷺ من العجم فكرة تأمين الكتب والرسائل من التزوير عن طريق اتخاذ الخاتم: عن أنس بن مالك ﷺ

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٧/ ٣٩٢، ٣٩٣).

أن نبي اللَّه ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط - أو أناس - من الأعاجم فقيل له: إنهم لا يقبلون كتابًا إلا عليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة نقشه: محمد رسول اللَّه، فكأني بوبيض - أو ببصيص - الخاتم في إصبع النبي ﷺ أو في كفه[1].

لكنه أبى في الوقت نفسه أن يكون نقض العهد طريقًا للدعوة أو للتربية، جاء عن حذيفة بن اليمان - رضي اللَّه تعالى عنهما - قوله: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وحسيل[2]، فأخذنا كفار قريش، قالو: إنكم تريدون محمدًا؟

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب العلم: باب ما يذكر في المناولة، وكتاب: أهل العلم بالعلم إلى البلدان (١/ ٢٥، ٢٦)، وكتاب الجهاد: باب دعوة اليهود والنصارى، وعلام يقاتلون عليه؟ (٦/ ٥٤)، وكتاب اللباس: باب نقش الخاتم (٧/ ٢٠٢)، وكتاب الأحكام: باب الشهادة على الخط المختوم (٩/ ٨٣، ٨٤)، ومسلم في الصحيح: كتاب اللباس والزينة: باب لبس النبي ﷺ خاتمًا من ورق نقشه محمد رسول اللَّه (٣/ ١٦٥٧) رقم (٥٦ - ٥٨)، وأبو داود في السنن: كتاب الخاتم: باب ما جاء في اتخاذ الخاتم (٤/ ٨٨) رقم (٤٢١٤)، والترمذي في السنن: كتاب الاستئذان: باب ما جاء في ختم الكتاب (٥/ ٦٩، ٧٠) رقم (٢٧١٨)، وباب صفة خاتم النبي ﷺ ونقشه (٨/ ١٧٤، ١٩٣) وأحمد في المسند (٣/ ١٦٨، ١٦٩، ١٨٠، ١٨١، ٢٢٣، ٢٧٥)، كلهم من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

(٢) حسيل: بحاء مضمومة، ثم سين مفتوحة مهملتين، ثم ياء ولام، ويقال أيضًا: « حسل » بكسر الحاء وإسكان السين، وهو والد حذيفة، واليمان لقب له، والمشهور في استعمال المحدثين أنه اليمان بالنون من غير ياء بعدها، وهي =

فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد اللَّه وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه فأتينا رسول اللَّه ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: « **انصرفا، ونستعين باللَّه عليهم** »[1].

وأبى كذلك أن تكون الخيانة أو نهب أموال الناس طريقًا للدعوة أو التربية؛ إذ لما أراد الهجرة كانت عنده ودائع كثيرة لأهل مكة ولم يشأ أن ينتهبها أو يضيعها على أصحابها، ولو أنه فعل لكان له بعض العذر؛ إذ أخرج هو وأصحابه من ديارهم وأموالهم بغير جريرة اقترفوها، إلا الإسلام، كما قال اللَّه ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ... ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]، ولكنه ﷺ استبقى مكانه عليًّا ليرد هذه الودائع إلى أصحابها من ناحية، وليموه على المشركين من ناحية أخرى.

يقول علي ﷺ: لما خرج رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة في الهجرة، أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده

= لغة قليلة، والصحيح: اليماني بالياء، وكذا عمرو بن العاص، وعبد الرحمن ابن أبي الموال، وشداد بن الهاد، والمشهور عند المحدثين حذف الياء والصحيح إثباتها، انظر: شرح الإمام النووي على مسلم (١٢/ ١٤٤).

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب الوفاء بالعهد (٣/ ١٤١٤) رقم (١٧٨٧) من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعًا به.

للناس؛ ولذا كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثًا، وكنت أظهر ما تغيبت يومًا واحدًا، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول اللَّه ﷺ حتى قدمت بني عمرو بن عوف، ورسول اللَّه ﷺ مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهدم، وهنالك منزل رسول اللَّه ﷺ[1].

وأبى أيضًا أن يكون الكذب طريقًا للدعوة أو للتربية؛ إذ يقول عبد اللَّه بن عامر: دعتني أمي يومًا ورسول اللَّه ﷺ قاعدًا في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: « **وما أردت أن تعطيه؟** » قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: « **أما إنك لو لم تعطه شيئًا كُتِبَتْ عليك كذبة** »[2]، وإذ يقول أبو هريرة - رضي اللَّه تعالى عنه -: قال رسول اللَّه ﷺ: « **من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة** ».

أبى النبي ﷺ أن يتوسل إلى الدعوة والتربية بهذه الأخلاق جميعًا وبغيرها؛ لأنها من أخلاق الجاهلية والجاهليين، والإسلام جاء ليحرر البشرية من هذه الأخلاق، إنْ في الأهداف والغايات، وإنْ في الوسائل والأساليب.

---

(١) الحديث أخرجه ابن سعد في: الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢) عن الواقدي بلفظه، وعنه نقل علاء الدين المتقي الهندي في: كنز العمال (٨/ ٣٣٥)، وعن كنز العمال نقل الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الأدب: باب التشديد في الكذب (٤/ ٢٩٨) رقم (٤٩٩١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٤٧) كلاهما من حديث عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة العدوي مرفوعًا به، واللفظ لأبي داود.

إذن.. فلا جرم أن يكون للمعاصرة دور في خدمة الدعوة والتربية على أن يكون هذا الدور تابعًا للأصالة، وليس خارجًا عنها، لا سيما وأن: « **الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها** »[1].

٩ - رضوان اللّه هو الغاية والهدف:

وذلك بأن تكون الغاية والهدف من الدعوة والتربية، إنما تكمن في الظفر برضوان اللّه تعالى، المتمثل في سعادة الدنيا، ونجاة الآخرة، بحيث لو كان هناك إخفاق أو فشل في الهدف القريب وهو تعبيد الناس للّه، والتمكين لدينه في الأرض فإنه لا يضيع علينا هذا الهدف البعيد، وهو رضوان اللّه ﷻ.

ومنطلق هذه القاعدة كتاب اللّه تعالى، وسنة النبي ﷺ والواقع.

أما كتاب اللّه: ففي قوله سبحانه: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ... ﴾، [المائدة: ٩٩]، ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ... ﴾ [الشورى:٤٨]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن:كتاب العلم: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٥١) رقم (٢٦٨٧)، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب الحكمة (٢/ ١٣٩٥) رقم (٤١٦٩)، كلاهما من حديث إبراهيم ابن الفضل عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا به، وعقّب عليه الترمذي قائلًا: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه).

يَشَآءُ ... ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وأما سنة النبي ﷺ: فقد تمثَّلت في حرصه ﷺ على البلاغ في كل المناسبات وبمختلف الأساليب وإن لم تكن هناك استجابة ولا قبول، ثم تعهده للمستجيبين حتى أخرج منهم روادًا، وقادة للعالمين، وقوله ﷺ: « **إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء** »، ثم دعوته ﷺ بعد ذلك: « **اللهم مُصرّف القلوب صَرِّفْ قلوبنا على طاعتك** »[1].

وأما الواقع: فيتجلى في أن نواصي العباد جميعًا بيد اللَّه ﷻ، ونحن لا حول لنا ولا قوة، إلا إرادة الخير للناس، ثم دعوتهم، وتوجيههم، وإرشادهم، والأخذ بأيديهم في

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب القدر: باب تصريف اللَّه تعالى القلوب كيف يشاء (٢/ ٢٠٤٥) رقم (٢٦٥٤)، وابن ماجه في السنن: كتاب الدعاء: باب دعاء رسول اللَّه ﷺ (٢/ ١٢٦٠) رقم (٣٨٣٤)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٨، ٣/ ١١٢، ٢٥٧) كلهم من حديث عبد اللَّه بن عمرو ابن العاص، إلا ابن ماجه وأحمد في إحدى روايتيه، فإنه عندهما من حديث أنس بن مالك، بيد أن في رواية ابن ماجه يزيد الرقاشي وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٦١).

حدود طاقاتنا وإمكاناتنا، ولا يكلف اللَّه نفسًا إلّا وسعها، ولا نُسأل عن أصحاب الجحيم.

وعلى ذلك وحده يكون الأجر وتكون المثوبة من اللَّه جل وعلا.

١٠ - الإلمام بالسنن الاجتماعية والإفادة منها في الدعوة والتربية:

وذلك أن الحياة الاجتماعية محكومة بطائفة من السنن والنواميس مثل:

- مدنية الإنسان بالطبع، يعني أن الإنسان لا يمكن أن يحيا الحياة الكاملة المريحة إلا من خلال الاجتماع، الذي يعينه في تحصيل حاجياته، والارتقاء بمستواه البشري.

- والتفاوت في التفكير والرأي، يعني أن الناس ليسوا جميعًا بدرجة واحدة في التفكير والرأي، وإنما بينهم تفاوت.

- والأدب في الحوار والمناقشة يؤدي إلى توحيد وجهة النظر، أو على الأقل التقارب.

- وحتمية الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، تحقيقًا للامتحان والبلاء.

- ومن حفر لأخيه حفرة وقع فيها: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ... ﴾ [فاطر: ٤٣].

- والغلبة والسيادة للأقوى الأتقى، وإلا فللأقوى.

هذه وغيرها سنن ونواميس اجتماعية، ولا بد من الإلمام بها بل والإفادة منها في الدعوة والتربية، يعني إذا كان الإنسان مدنيًّا بالطبع، فلا بد لنجاح الدعوة والتربية من الجماعية، وهذا ما جاءت به نصوص الشريعة، كما يدل على ذلك المضمون والخطاب في قوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وفي قوله ﷺ: « **بلِّغوا عني ولو آية** »[1].

وإذا كان التفاوت بين الناس في التفكير والرأي أمر لا بد منه، فلا بدّ من مراعاة هذا التفاوت في الدعوة والتربية، بأن يكون هناك قدر مشترك يلتقي عليه الجميع، وما جاوز ذلك مما فيه اختلاف ففيه الإعذار: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه).

وهذا ما أثر عن فقهاء المسلمين؛ إذ كانوا يعضُّون بالنواجذ على المسائل المُجْمَع أو المتَّفَق عليها، بينما يلتمس كل منهم العذر لأخيه فيما كان محل اختلاف أو تباين، وإذا كان الأدب في الحوار والمناقشة طريقًا إلى توحيد وجهات

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

النظر أو التقارب، فلا بد من مراعاة هذا الأدب في الدعوة والتربية؛ في كل حوار، وفي كل مناقشة، حتى نكون صفًا واحدًا كأنما نحن بنيان مرصوص، بأن يعطى المتحدث فرصة للإبانة والكشف عن وجهة نظره، وأن نناديه بأحب الأسماء والألقاب إليه والكنى، وأن لا نقبل قولًا فيه حال غيابه، وأن نذبَّ عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، وأن نتوخى الصدق والإخلاص في الوصول إلى الحق، بغض النظر عمن يظهر على لسانه، بل إذا ظهر الحق على لسان الغير كان ذلك أحب إلى نفوسنا من أن يكون على ألسنتنا.

وإذا كان من حفر لأخيه حفرة وقع فيها، فإننا يجب أن نتجنب الشر وإرادته في كل ما يصدر عنَّا من أقوال وأعمال وأن نكون واثقين بالانتقام الإلهي من كل من يريد بعباد اللَّه شرًّا أو سوءًا، فلا نضعف، ولا نتوانى ولا نتوقف، وإنما نمضي حتى يقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا.

وإذا كانت السيادة للأتقى الأقوى، فلا بد من الاجتهاد في هذا الأمر حتى نكون ربانيين قادرين على الإمساك بزمام الحياة مرة أخرى، وتوجيهها التوجيه السديد. وحسبنا سيرة النبي ﷺ وصحابته في هذا الباب، فقد كان من أتقى الناس وأشدهم للَّه خشية، وكذلك كان صحابته من بعده، ومن هنا عزُّوا وسادوا، وأفسحوا الطريق أمام الناس ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

١١ - الصبر والتحمل مع التأني والتروي وعدم الاستعجال:

وذلك بأن نوطِّن أنفسنا من أول يوم على أن الطريق طويلة، والتكاليف ضخمة، والعقبات والمعوقات كثيرة، وأعداء اللَّه يتربصون بنا الدوائر، ويتحرشون بنا في كل لحظة، بغية الإثارة والاستعجال، لتستأصل الشأفة أو يكون التعويق. نوطن أنفسنا على ذلك كله، ونواجهه بالصبر والتحمل مع التأني والتَّروِّي وعدم الاستعجال، ولنا في تربية القرآن للمسلمين أول مرة، وفي سنة وسيرة نبينا محمد ﷺ الأسوة والقدوة، فقد كانت الآيات تتنزل: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠] ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وكان التوجيه من النبي ﷺ بالصبر والتحمل وعدم الاستجابة لأي مثير مهما يكن شأنه، ومهما يكن لونه، مع التأني والتروي وعدم الاستعجال، كل هذا ليربي لديهم ملكة الطاعة والخضوع والانقياد.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي:

(هذا والرسول ﷺ يغذي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالإيمان ويأخذهم بالصبر على الأذى، والصفح

الجميل، وقهر النفس. لقد رضعوا حب الحرب، وكأنهم ولدوا مع السيف، وهم من أمة من أيامها: حرب بسوس، وداحس والغبراء، وما يوم الفِجار ببعيد، ولكن الرسول ﷺ يقهر طبيعتهم الحربية ويكبح نخوتهم العربية، ويقول لهم: كُفُّوا أيديكم، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فانقهروا لأمره، وكَفُّوا أيديهم، وتحملوا من قريش ما تسيل منه النفوس في غير جبن، وفي غير عجز، ولم يسجل التاريخ حادثة دافع فيها مسلم في مكة عن نفسه بالسيف، مع كثرة الدواعي الطبيعية إلى ذلك، وقوتها، وذلك غاية ما روي في التاريخ من الطاعة والخضوع)[1].

ولعل من أبرز الصور التي أثرت عنه ﷺ في ذلك، ما جاء عن خباب بن الأرت إذ يقول:

أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه، فقال: « **لقد كان مَن قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم، أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه** »[2].

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٩٧).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب المناقب: باب علامات =

وجاء في رواية أخرى: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: « **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشَّط بأمشاط من حديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، واللَّه ليتمَّن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون** »[1].

وما جاء في حديث العقبة.. إذ قال العباس بن عبادة ابن نضلة للنبي ﷺ بعد انتهاء البيعة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا، فردَّ عليه النبي ﷺ قائلًا: « **لم أومر بذلك** »[2].

= النبوة في الإسلام (٤/ ٢٤٤)، وكتاب الأنصار: باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين (٥/ ٥٦، ٥٧)، وكتاب اللباس: باب البرود والحبرة والشملة (٧/ ١٨٨) (معلقًا)، وكتاب الإكراه: باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٩/ ٢٥، ٢٦)، وأبو داود في السنن: كتاب الجهاد: باب في الأسير يُكره على الكفر (٣/ ٤٧) رقم (٢٦٤٩) والنسائي في السنن: كتاب الزينة: باب لبس البرود (٨/ ٢٠٤)، وأحمد في المسند: (٥/ ١٠٩، ١١٠، ٦/ ٣٩٥) كلهم من حديث خباب بن الأرت مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

(١) نفسه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٦٠ - ٤٦٢) من حديث كعب بن مالك مرفوعًا به، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٦٤) نقلًا عن ابن إسحاق.

وكان يمر على آل ياسر وهم يرسفون في الأغلال، ويعذبون، فما يزيد على قوله لهم: « **صبرًا آل ياسر!! صبرًا آل ياسر!! فإن موعدكم الجنة** »[1].

١٢ - التوازن بين الدعوة والتربية:

وذلك بأن يأخذ كل جانب من الجانبين حقه دون بخس ولا شطط؛ لأننا بحاجة إلى الجانبين جميعًا: جانب التربية لتخريج صفوة القادة والدعاة والمربين الذين يقع عليهم العبء الأكبر في معايشة المستعدين للتضحية والبذل والعطاء، والنهوض بمستواهم ليؤدوا دورهم في إعزاز هذا الدين والتمكين له في هذه الأرض.. وجانب الدعوة لانتشال الغارقين، وهداية الضالين من الناس من أبناء هذه الأمة، حتى يتربوا ويلتزموا على الأقل بالإسلام في أنفسهم، وفي بيوتهم، ويوجد منهم وبهم الرأي العام الذي له دوره

---

(١) الحديث أورده ابن حجر في: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٤٧) وعزاه إلى أبي أحمد الحاكم قائلًا: (وأخرج أبو أحمد الحاكم عن عبد الله ابن جعفر - رضي الله عنهما - قال: مر رسول الله ﷺ، بياسر وعمار وأم عمار، وهم يؤذون في الله تعالى فقال لهم: « صبرًا يا آل ياسر، صبرًا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة »، كما عزاه إلى ابن الكلبي قائلًا: ورواه ابن الكلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بنحوه، وزاد: عبد الله بن ياسر، وزاد: وطعن أبو جهل سمية في قُبُلها فماتت، ومات ياسر في العذاب، ورمي عبد الله فسقط) وعن الإصابة نقل الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة (١/ ٢٧٢).

في الضغط لتغيير هذا الواقع الأليم المرير، إلى واقع طيب حميد يرضى عنه اللَّه ورسوله ﷺ والمؤمنون.

ومنطلق هذه القاعدة: الواقع البشري؛ ذلك أننا نرى الناس متفاوتين في طاقاتهم وإمكاناتهم واستعدادهم، فمنهم من لديه استعداد للموت ما دام في سبيل اللَّه، ومنهم من لديه استعداد لامتثال أمر اللَّه في نفسه ولا شأن له بالآخرين، ومنهم من اثَّاقل وأخلد إلى الأرض واتبع هواه، ومنهم... ومنهم...

والمنهج القويم في التعامل مع هؤلاء إنما يكون بالدعوة والتربية، كلٌّ فيما يناسبه ويتفق مع حاله.

ومنطلق هذه القاعدة كذلك: الكتاب والسنة:

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ... ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ... ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وأما السنة: ففعله ﷺ إذ ظل ماضيًا في الأمرين جميعًا - الدعوة والتربية - على قدم وساق، دون وكس أو شطط، حتى تمت كلمة اللَّه صدقًا وعدلًا، ودخل الناس في دين ربهم أفواجًا.

* * *

خَاتِمَة

هذه خلاصة موجزة لمنهج أهل السنة والجماعة في التغيير، بجانبيه الدعوي والتربوي، **ومنها نستخلص النتائج التالية:**

١ - أن الدعوة إلى اللَّه فريضة شرعية، وضرورة بشرية لا غنى عنها في جميع الظروف وفي سائر الأحوال.

٢ - وأن التربية على الإسلام مشروعة وضرورية لا يمكن الاستغناء عنها في كل مراحل العمل.

٣ - وأن الدعوة والتربية لا يمكن أن يتعارضا مع الجوانب التي لا بد منها في شخصية المسلم، مثل كونه: قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادرًا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدًا لنفسه، حريصًا على وقته، منظمًا في شئونه، نافعًا لغيره، مهتمًّا ببيته، مراعيًا حقوق إخوانه، عاملًا على تحرير وطنه... نظرًا لأن الدعوة والتربية هما طريق تحقيق هذه الجوانب في النفس، وفي واقع الحياة.

٤ - وأن الهدف من الدعوة والتربية إما إنقاذ الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإسعادهم في الدنيا والآخرة، وإما إقامة الحجة، وإبراء الذمة.

٥ - وأن نجاح الدعوة والتربية يتوقف على أمور كثيرة أهمها: الفهم الدقيق لأسلوب ومنهج هذه الدعوة، وتلك التربية، تحقيقًا لقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى... ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٦ - وأن من الفهم الدقيق لأسلوب ومنهج الدعوة والتربية أو من حكمة الدعوة والتربية:

(أ) عدم الفصل بين الدعوة والتربية، ومناشط الحياة، بل الحياة كلها دعوة وتربية.

(ب) رعاية الأولويات وتقديم المهمات.

(جـ) رعاية المرحلية والتدرج.

(د) البدء بتصحيح المفاهيم وتعميق الوعي بالواقع.

(هـ) الشمول والتكامل والتوازن في الفهم والسلوك.

(و) عدم الخوض فيما لا فائدة ترجى من ورائه.

(ز) الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

(ح) رضوان اللّه هو الغاية والهدف.

(ط) الإلمام بالسنن الاجتماعية والإفادة منها في الدعوة والتربية.

(ي) الصبر والتحمل مع التأني والتروي وعدم الاستعجال.

(ك) الرفق والرحمة في الدعوة والتربية.

(ل) التوازن بين الدعوة والتربية.

وحتى تتضح مثل هذه القواعد الدعوية والتربوية في الذهن، وتتشربها النفس فلا بد أن تتم:

١ - من خلال جماعة يعين بعضها بعضًا، ويحمي بعضها بعضًا: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ... ﴾ [المائدة: ٢].

٢ - وأن يتوفر لهذه الجماعة كل احتياجاتها: القيادية، والمالية، والأمنية؛ حتى تتمكن من أداء دورها، والقيام بما ألقي على عاتقها من مهام.

٣ - وأن تلتزم هذه الجماعة بما لا بد منه من ضوابط تحمي الجماعة، وتصونها من الفرقة والتمزق؛ كتصفية القلوب، وكاللين، والتواضع، والإيثار، وبذل أقصى ما في الطاقة والجهد، ورعاية أدب الخلاف... ونحو ذلك.

ويطيب لي أن أوصي في هذا الصدد:

- بضرورة إعداد دراسة واسعة وجيدة حول: « **الجماعية ودورها في الدعوة والتربية** ».

- وأخرى حول: « **ضوابط العمل الجماعي** ».

على أن تكون هذه الدراسات مؤصلة وموثقة من الناحية الشرعية، وغير مبتوتة عن الواقع في النفس، وفي الحياة.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

أبو عمير

د. السيد محمد نوح

* * *
* *
*

فهرس المراجع

١ - **أخبار عمر**: علي وناجي الطنطاويان، دار الفكر، بيروت (ط ٣)، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م).

٢ - **آداب الشافعي ومناقبه**: ابن أبي حاتم الرازي (ت ١٣٢٧هـ)، القاهرة (١٩٥٣م).

٣ - **الإسلام فكرة وحركة وانقلاب**: فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٣م).

٤ - **الإسلام قوة الغد العالمية**: باول شمتز، ترجمة د. شامة، مكتبة وهبة، القاهرة (١٩٧٤م).

٥ - **الإمام في بيان أدلة الأحكام**: عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت (ط ١)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦ - **البداية والنهاية**: أبو الفداء إسماعيل بن ضو المعروف بابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار المعارف، بيروت (ط ٤)، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٧ - **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**: السيد محمد رشيد رضا، المعرفة، بيروت (ط ٢).

٨ - **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، المعرفة، بيروت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٩ - **تقريب التهذيب**: أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت (ط ٢)، (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

١٠ - **جامع البيان في تفسير القرآن**: محمد بن جرير المعروف بالطبري (ت ٣١٠هـ) دار المعرفة، بيروت (ط ٤)، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

١١ - **حياة الصحابة**: محمد يوسف المعروف بالكاندهلوي (ت ١٩٦٥م) دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٢ - **الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية**: سليمان مرزوق، دار المنار، الكويت (ط ١)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

١٣ - **الدعوة إلى الإسلام**: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٤ - **رجال من التاريخ**: علي الطنطاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.

١٥ - **السنن**: أبو عبد الرحمن بن شعيب المعروف بالنسائي (ت ٣٠٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٦ - **السنن**: أبو داود سليمان بن الأشعث المعروف بالسجستاني (ت ٢٧٥هـ) دار إحياء السنة النبوية، بيروت، بدون تاريخ.

١٧ - **السنن**: أبو عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالدارمي (ت ٢٧٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٨ - **السنن**: أبو عيسى محمد بن عيسى المعروف بالترمذي (ت ٢٧٩هـ)، دار إحيان التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٩ - **السنن**: أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٠ - **السيرة النبوية**: ابن كثير، عيسى الحلبي، القاهرة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

٢١ - **الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية**: د. عمر سليمان الأشقر، دار الدعوة، الكويت (ط ١)، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

٢٢ - **الصحاح**: إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣ - **الصحاح في اللغة والعلوم**: أسامة ونديم المرعشليان، دار الحضارة العربية، بيروت (ط ١)، (١٩٧٥م).

٢٤ - **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**: د. يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، قطر (ط ١)، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١-م).

٢٥ - **الصحيح**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ/ ١٩٥٥م).

٢٦ - **الصحيح**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧ - **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ) دار صادر، بيروت، بدون.

٢٨ - **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون.

٢٩ - **فقه الدعوة في إنكار المنكر**: عبد الحميد البلالي، دار الدعوة، الكويت (ط ٢)، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٣٠ - **كنز العمال**: علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٣١ - **لسان العرب**: محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، بدون.

٣٢ - **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**: أبو الحسن الندوي، دار الأنصار، القاهرة (ط ١٠)، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٣٣ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي ابن أبي بكر المعروف بالهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت (ط ٢)، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٣٤ - **مجموع الفتاوى**: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، السعودية، بدون تاريخ.

٣٥ - **مختصر منهاج القاصدين**: ابن قدامة المقدسي.

٣٦ - **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ)، دار المعرفة، بيروت (ط ١)، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

٣٧ - **المسند**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) المكتب الإسلامي، بيروت (ط ١)، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٣٨ - **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر المعروف بالبوصيري (ت ٨٤٠هـ) دار العربية، بيروت (ط ١)، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٣٩ - **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة (ط ٢)، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٤٠ - **المغازي**: محمد بن عمر المعروف بالواقدي (ت ٢٠٧هـ) عالم الكتب، بيروت، بدون.

٤١ - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: محيي الدين يحيى ابن زكريا المعروف بالنووي (ت ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط ٢)، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٤٢ - **من القرآن وإلى القرآن « الدعوة والدعاة »**: محمد محمود الصواف.

٤٣ - **الموافقات**: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المعروف بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، بدون.

٤٤ - **الموطأ**: مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) دار النفائس، بيروت (ط ٥)، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٤٥ - **النساء الداعيات**: د. توفيق الواعي، وزارة الأوقاف، الكويت (ط ١)، (١٣٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

٤٦ - **النهاية في غريب الحديث والأثر**: أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (١٠٦هـ) الأميرية بولاق، القاهرة.

* * *
* *
*

السيرة الذاتية للمؤلف

أ. د. السيد محمد السيد نوح.

- تاريخ الميلاد: ٢٤/ ٤/ ١٩٤٦م.

- محل الميلاد: كفر الشيخ - مصر.

المؤهلات العلمية:

الشهادات الجامعية وتاريخ الحصول عليها:

(أ) الليسانس: تخصص: أصول دين (١٩٧١م)، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر - ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

(ب) الماجستير: كلية أصول الدين، جامعة الأزهر (١٩٧٣م) - جيد جدًّا في موضوع: « زواج النبي بزينب بنت جحش ورد المطاعن التي أثيرت حوله في ضوء المنهج النقدي عند المحدثين ».

(جـ) الدكتوراه: كلية أصول الدين، جامعة الأزهر (١٩٧٦م) - ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في موضوع: « الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال ».

التدرج الوظيفي:

١ - معيد بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة (من ١٩٧١ إلى ١٩٧٤م).

٢ - مدرس مساعد بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة (من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧م).

٣ - مدرس بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة (من ١٩٧٧م إلى ١٩٨١م) .

٤ - أستاذ مساعد بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، المنصورة (من ١٩٨١م إلى ١٩٨٢م).

٥ - أستاذ زائر بجامعة قطر، كلية الشريعة (من ١٩٨١ إلى ١٩٨٢م).

٦ - مدرس بجامعة الإمارات، كلية الآداب (من ١٩٨١ إلى ١٩٨٤م).

٧ - أستاذ مساعد بجامعة الإمارات، كلية الآداب (من ١٩٨٤ إلى ١٩٩١م).

٨ - أستاذ الثقافة الإسلامية وأصول الدين المساعد بكلية دبي الطبية للبنات، دبي (من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٣م).

٩ - أستاذ مشارك في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، للعام الجامعي (١٩٩٢ - ١٩٩٣م).

١٠ - أستاذ مساعد بجامعة الكويت، كلية الشريعة (من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٩م).

١١ - أستاذ بجامعة الكويت - كلية الشريعة (من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠٧م).

الإنتاج العلمي:

أ - البحوث المنشورة:

١ - حسن الأسماء والكنى والألقاب: المغزى والضوابط في ضوء الحديث النبوي.

٢ - مستقبل الإسلام في ضوء الحديث النبوي.

٣ - التفاؤل والتطير في ضوء الحديث النبوي.

٤ - علم الطبقات: حقيقته، وقيمته العلمية والحضارية.

٥ - مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى.

ب - البحوث المقبولة للنشر:

١ - حديث حنظلة: ساعة وساعة، وفقه العبادة في الإسلام.

٢ - التواصل الحضاري بين الأجيال في ضوء الحديث النبوي.

٣ - درء تعارض أحاديث كراء الأرض.

٤ - التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي.

٥ - الحسد والعين في ضوء السنة النبوية.

هذا، وقد قام بتحكيم العديد من المسابقات والبحوث العلمية. وكان - رحمه الله - عطاؤه واسعًا في نشر التوعية الدينية وإثراء المكتبة الإسلامية.

* * *
* *
*

رقم الإيداع

٢٠١١/٥٣٨٤

الترقيم الدولي I. S. B. N

978 - 977 - 5059 - 11 - 6

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « **منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير** »

ورغبة منا في تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

* فهيا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-

الاسم كاملاً : ..... الوظيفة : .....

المؤهل الدراسي : ..... السن : ..... الدولة : .....

المدينة : ..... حي : ..... شارع : ..... ص.ب: .....

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐ e-mail : ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : ..... المدينة ..... العنوان .....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لِمَ) .....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) .....

(من أجل تواصلٍ بنّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ □ رخيص □ معقول □ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) ..... العملة .....

- هل صادفت أخطاء طباعية أثناء قراءتك للكتاب ؟

□ لا يوجد □ نادرًا □ يوجد أخطاء مطبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ .....

.....

.....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودوّن ما يجول في خاطرك : -

.....

.....

.....

.....

.....

.....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على

e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لتراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

الكتاب في سطور

إن الواقع الأليم الذي تعيشه أمتنا الإسلامية لَيدعو إلى الحسرة والألم؛ فهذه الأمة تملك ما يملكه غيرها من ثروات، وتملك منهاجًا شاملًا للحياتين - الدنيا والآخرة - كتابَ الله المعصوم من أي تحريف أو تبديل. ولكن الخراب الفكري خيم على الشخصية المسلمة وأقعدها عن القيام بدورها، وأودى بها إلى الفرقة والتمزق وإلى تعطيل شرع الله في الأرض عن قصد، وإلى تبلد الحس وموت العاطفة.

هذا الواقع المرير هو الداعي لأن تقوم التربية الدعوية - التي لا تتعارض مع ما لا بد من وجوده في شخصية المسلم؛ من قوة البدن ورجاحة العقل.. وغيرهما - بدورها في إنقاذ الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وعلى الجماعة أن تلتزم بما لا بد منه من ضوابط تحميها وتصونها من الفرقة والتمزق؛ تحقيقًا لأمر الله تعالى بالدعوة التي هي منهاج المسلم القويم.

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٧٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٤٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٥٠٥٦١٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٠٢٠٣)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-505-911-6